الأزهر

ملاحظات علمية على كتاب:

المسيح فى الإسلام

للدكتور/ ميشال الحايك

نقد وتعليق

الأستاذ الدكتور

محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر صفر ١٤٢٧هـ

المتن ٧٠ جم مستورة
الغلاف ١٥٠ جم كوشيه

الأزهر

ملاحظات علمية على كتاب:

المسيح فى الإسلام

للدكتور ميشال الحايك

نقد وتعليق

الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

• مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور ميشال الحايك [١٩٢٨- ٢٠٠٥م].. وهو كاثوليكى مارونى لبنانى.. درس بالجامعة اليسوعية والجامعة الكاثوليكية.. وحصل على الدكتوراه- فى أصول الدين- من جامعة السوربون- باريس-.. وعمل أستاذا للدراسات الإسلامية بالجامعة الكاثوليكية- ببيروت-..

• ولقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٦٠م، بعنوان: [المسيح إمام المسلمين].. ثم صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٦١م، بعنوان: [المسيح فى الإسلام].. وهذه الطبعة الثالثة- التى بين أيدينا- قد صدرت سنة ٢٠٠٤م.. وهى- كما يقول ناشرها: دار النهار للنشر- ببيروت- مطابقة للطبعة الثانية.

• وفى نهاية هذا الكتاب- ص٢٨٤- عبارة: «طبع بإذن الرؤساء».. الأمر الذى يعنى- بعد

عزلة المؤلف سنة ١٩٨٠م- تمثيل هذا الكتاب للمؤسسة الدينية المارونية.. وليس فقط لمؤلفه، الذى هو أحد المتخصصين فى اللاهوت الكاثوليكى.

● وإذا كانت صفحات هذا الكتاب قد اقتربت من ٣٠٠ صفحة- من الحجم الكبير- وطبعت كلماته «بالبنط الصغير».. فإن كل فصوله هى عبارة عن نصوص انتقاها «المؤلف» من الكتب الإسلامية، وبالذات من مؤلفات التصوف الباطنى، المليئة بالأساطير والشطحات.. ووزعها على موضوعات فصول هذا الكتاب.. وليس فى هذا الكتاب ما هو من إنشاء «المؤلف» سوى ٢٤ صفحة فقط لا غير!..

● وتنقسم فصول هذا الكتاب- بعد التمهيد- إلى تسعة فصول:

أولها: عن [المسيح فى القرآن]..

والفصل الثانى: عن [زكريا ويحيى المعمدان].. وهو نقول لقصص وحكايات وعظية

من المصادر الصوفية الخاصة بمجازات ترقيق القلوب، أكثر من حقائق التاريخ.. ونسبة القصص الخرافى فيها أعلى من المقبول والمعقول..

والفصل الثالث: عن [مريم البتول].. وهو نقول عن كتب التصوف الباطنى..

والفصل الرابع: عن [معجزات عيسى فى طفولته] وهو- الآخر- نقول عن مؤلفات التصوف الباطنى، التى يعترف «المؤلف» بأنها- فى الأغلب- خرافات لا صحة لها بمقاييس التاريخ..

والفصل الخامس: عن [الحواريون].. وهو نقول عن كتب التاريخ الإسلامى.. مع مقارنة بينها وبين ما جاء فى الأناجيل النصرانية..

والفصل السادس: عن [مواعظ المسيح].. وهو- كذلك- نقول عن المصادر الصوفية الباطنية..

والفصل السابع: عن [إمام السائحين].. وهو نقول تغلب عليها المبالغات الأسطورية التى

تتميز بها قصص الوعظ وترقيق القلوب..

والفصل الثامن: عن [رفع المسيح].. وفيه يرد حديث «المؤلف» عن صلب المسيح.. والنقل فى هذا الفصل اغلبه عن «اليعقوبى».. نوح اليعقوبى- [٩٩٧هـ- ١٥٨٩م]- وهو بطريرك لبنانى.. وكانه تلخيص لما جاء فى الأناجيل عن صلب المسيح..

والفصل التاسع: عن [نزول المسيح فى آخر الزمان].. وهو قصص أسطورى، جمعة «المؤلف» من كتب التراث الإسلامى، حول ظهور المسيح الدجال.. ونزول المسيح عيسى ابن مريم- عليه السلام-.. وحول ياجوج وماجوج فى آخر الزمان.

***

النقد العلمى لأخطاء هذا الكتاب

وبادىء ذى بدء.. فلو أن «مؤلف» هذا الكتاب قد وقف عند حدود عرض النقول التى يراها مؤيدة لعقيدته المسيحية، لما كان هناك أدنى مبرر للتعرض لهذا الكتاب.. فنحن مأمورون- بحكم عقيدتنا الإسلامية فى حرية الاعتقاد- بأن نترك الناس وما يدينون، بل ومأمورن- فى المجتمع والدولة- أن نمكن الآخرين من إقامة عقائدهم التى تخالف وتنكر وتجحد وتكفر بالإسلام، الذى به ندين.

لكن الأمر الذى استوجب تقديم الملاحظات النقدية لبعض ما جاء فى هذا الكتاب هو تجاوز «المؤلف» لحدود عرض عقيدته المسيحية، والدفاع عنها، إلى محاولته الافتراء على القرآن الكريم والإسلام وبعض علماء المسلمين كى يشهدوا لعقائد المسيحية التى تخالف

وتناقض العقيدة الإسلامية، ومن ثم ينكرها الإسلام والفكر الإسلامى بالإجماع..

وفى مقدمة هذه الافتراءات- التى نقدم عليها أولى هذه الملاحظات النقدية: ما جاء فى هذا الكتاب- صـ٦، ٧، ٨، ٢٥، ٢٦- عن:

-١-

الموقف القرآنى من ألوهية المسيح

فـفى هذه الصـفـحـات- ٦، ٧، ٨، ٢٥، ٢٦- من «التـمـهـيـد» و«الفـصل الأول»- يصـور «المؤلف» الموقف القرآنى من عقائد النصارى، فى ألوهية المسيح.. وبنوته لله.. وقتله وصلبه، باعتباره موقفا طارئاً على الاعتقاد الإسلامى والنص القرآنى، اقتضته وسببته أحداث تاريخية حدثت بالمدينة المنورة- بعد الهجرة من مكة المكرمة- وفى مقدمتها ما أسماه «المؤلف» فشل النبى والإسلام فى التعامل مع القبائل المسيحية فى غزوتى «مؤتة» «سنة ٨ هـ ٦٢٩م و«تبوك» ٩هـ ٦٣٠م».. الأمر الذى يصور الرفض القرآنى والإسلامى لعقائد النصارى هذه باعتباره موقفا بشريا، سببته أحداث تاريخية، وليس عقيدة ثابتة ووحياً إلهياً نابعا من أخص خصائص الإسلام فى عقيدة التوحيد لله ـ سبحانه وتعالى ـ وتنزيهه عن الولد.. والحلول.. والاتحاد.. والتجسد.. والتشبيه.

وفى هذه الدعوى الخطيرة يقول «مؤلف» هذا الكتاب:

«لقد لاقى محمد لدى المسيحين فى مكة والمدينة، فى

بدء هجرته، إخلاصا فى الولاء وقياما بالعهد، فأحبهم بدوره حبا لا غش فيه، وحفظ القرآن آيات كانت صدى تلك المودة الأولى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

[المائدة: ٨٢]

ولكن هذا التلاقى لم ينزل صوب الأعماق، بل بات سطحيا، إذ أن المسيحيين، قبيل الهجرة، فى الجزيرة العربية، كانوا جماعة مبعثرة الشمل من أناس قليلى العدد، خاملى النسب، لا تجمع بينهم الروابط الدينية ولا يوحد أمرهم أولئك القسيسون والرهبان الذين ذكرهم القرآن، بل كانوا بالأحرى قوما فرقت بينهم النزعات الدينية والعرقية والتجارية.. وهؤلاء لم يعرفوا من دينهم المسيحى سوى جهلهم به.. فكرم البعض منهم مريم وقربوا لها التقادم والقرابين كأنها إله «من دون الله». وكان لمريم بين أصنام الكعبة تمثال يصورها

وابنها عيسى «قاعدا مزوقا» فى حجرها، كما ذكر الكلبى فى [كتاب الأصنام].

وما نكران ألوهية المسيح فى القرآن سوى غضبة على أولئك المسيحيين الذين تتبرأ منهم الحقيقة المسيحية.. فلم يكن بوسع النبى أن يلتقى بالعقيدة المسيحية على حقيقتها... فما أن هاجر النبى إلى المدينة حتى اصطدم باليهود أولا فأخضعهم قبيلة بعد أخرى معملاً السيف فى رقاب ذكورهم مستبيحا البعض من نسائهم للمهاجرين والأنصار أو جاليا العاجزين والعاجزات منهم خارج الجزيرة. ثم كان له اصطدام أخير مع القبائل المسيحية اليعقوبية التى كانت تحمى النفوذ فى الشمال، على طريق القافلات الداخلية أرض بيزنطة. فكانت غزوة تبوك ومؤتة اللتان أسفرتا عن فشل المسلمين. فجاءت آيات فى القرآن معاصرة لهذه الأحداث التاريخية المعروفة، وهى آيات مرّة على المسيحيين. وكانت بعد ذلك المباهلة، أى دعوة الله على الكافرين، بين النبى ووفد مدينة نجران. ولقد أوسع محمد حينذاك مكانا للنجرانيين فصلوا صلاة الفصح فى أول جامع

إسلامى، فى «المدينة المنورة» سنة ٦٣١م..

وغايتنا أن نظهر فكرة القرآن فى تدريجها عندما تعرض العقيدة المسيحية. فهى فى الآيات الأولى المكية كثيرة الحنان على النصارى، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسيسيهم. ولكنها فى آخر عهد النبى، فى المدينة، تصبح شديدة الوطأة للنصارى ويبدو أنها ترفض رفضا قاطعا ألوهية المسيح، وإن وراء هذا التحول أحداثا تاريخية معروفة أهمها فشل النبى فى غزوتيه ضد نصارى تبوك ومؤتة ومباهلته مع وفد نجران..

***

وفى الرد على هذا الافتراء، الذى يزعم أن القرآن المكى قد كان متعاطفا مع عقائد المسيحية ورفيقا بها.. وأن الأحداث التاريخية التى حدثت بالمدينة- وخاصة غزوتى مؤتة سنة ٨هـ وسنة ٦٢٩م وتبوك سنة ٩هـ- سنة ٦٣٠م- قد قلبت «النعومة» إلى «وطأة شديدة، ترفض رفضا قاطعا ألوهية المسيح»..

فى الرد على هذا الافتراء، هناك العديد من الحقائق

والثوابت التاريخية والاعتقادية الإسلامية، التى تقول:

١- إن الآية القرآنية التى ساقها «المؤلف» للتدليل على نعومة موقف الإسلام مع النصارى-[آية المائدة: ٢٢] لم تنزل فى النصارى الذين يؤلهون المسيح.. وإنما نزلت فى النجاشى ملك الحبشة[1]، الذى كان موحدا، والذى حمى المهاجرين المسلمين الموحدين، والقساوسة من قومه هم الذين فاضت أعينهم من الدمع عندما سمعوا القرآن- فى سورة مريم- الذى يؤكد على أن عيسى ابن مريم هو عبدالله ورسوله، وليس إلها أو ابن إله!.. ولم تنزل هذه الآية لتتخذ موقفا «ناعما» من المسيحيين الذين اتخذوا المسيح إلها من دون الله!..

٢- إن غزوتى مؤتة وتبوك لم تكونا ضد النصرانية ولا ضد القبائل العربية النصرانية- كما زعم «المؤلف»- وإنما كانتا ضد الروم البيزنطيين الذين استعمروا الشام، وفرضوا القهر الدينى والسياسى والحضارى على القبائل العربية، فلا مجال للقول بأن هاتين الغزوتين قد مثلتا

(١) انظر: القرطبى [الجامع لأحكام القرآن] (٦/٢٥٥) طبعة دار الكتب المصرية.

فشلا إسلاميا فى التعامل مع النصرانية، أدى إلى تغيير موقف القرآن والإسلام من عقائد النصارى فى ألوهية المسيح!.. وإذا كانت غزوة تبوك لم يقع فيها قتال، لتخلف الروم عن الحضور إلى مكانها، ولوقوف الرسول ﷺ عند تبوك- فإن هذه الغزوة قد مثلت نجاحا إسلاميا فى التعامل مع القبائل العربية النصرانية فى الشام- ولم تمثل «فشلا»- ففيها صالح رسول الله ﷺ أهل «أيلة»، وأهل «جرباء» وأهل «أذرح»، وأهل «ميناء».. وتبادل مع زعمائهم الهدايا، وظلوا على نصرانيتهم[1].

٣- وليس صحيحا ما ذكره «المؤلف» حول ما صنعه الرسول ﷺ- بيهود المدينة- من القتل والسبى والإجلاء- ذلك أن سياق وقائع التاريخ تقول: إن الرسول قد أدخل يهود المدينة- العرب وحلفاءهم العبرانيين- فى رعية الدولة الإسلامية، ونص دستورها- [الصحيفة.. والكتاب]- الذى وضعه الرسول سنة ١هـ

(١) انظر فى ذلك: رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] (٤/نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز- ص٣٣١، ٤٦٤، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م.

على أن «يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. وأن لهم النصر والأسوة مع البر المحض.. غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصحية والبر دون الإثم»[1]..

لكن اليهود هم الذين نقضوا هذا العهد وهذه الموادعة.. فسعوا إلى مشركى قريش يؤلبونهم على حرب الرسول والمسلمين، ويعدونهم بالمؤازرة، قائلين لهم: «إنا سنكون معكم حتى نستأصله»!!.. ثم سعوا إلى عرب «غطفان» ليدخلوهم فى الحلف المحارب للإسلام.. وبلغوا فى هذا الطريق الحد الذى جعلهم- وهم أهل توحيد- يفضلون الوثنية الجاهلية على الإسلام!!.. فعندما سألهم مشركو قريش:- يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟».

(١) [مجموعة الوثائق السياسية.. للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص١٧، ٢١. تحقيق: د.محمد حميد الله.. طبعة القاهرة ١٩٦٥م.

كانت إجابة اليهود:

- «بل دينكم خير من دينه، فأنتم أولى بالحق»!!

وفى هذه الخيانة للتوحيد- الذى يدعون- فضلا عن الخيانة للعهد والموادعة- نزل قول الله، سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾

[النساء: ٥١]

حتى لقد عاب عليهم المؤرخ اليهودى «إسرائيل ولفنسون» هذه الخيانة، فقال: «ما كان يجوز لهم أن يصرحوا أمام زعماء الشرك بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم.. وكان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين»[1].

(١) إسرائيل ولفنسون [تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام] (ص١٤١، ١٤٢) طبعة القاهرة ١٩٢٧م.

ثم جاءت خيانة يهود بنى قريظة إبان الغزوة التى حاصرت المسلمين بالمدينة- غزوة الخندق سنة ٤هـ سنة ٦٢٦م. وهى الغزوة التى وصف القرآن فيها حال المسلمين فقال:

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

[الأحزاب: ١٠، ١١]

فما صنعه الإسلام باليهود العبرانيين- حول المدينة- إنما كان جزاء الخيانات المركبة التى اقترفوها، وأغلب من قتل منهم- فى بنى قريظة- إنما قتل بحكم التحكيم الذى ارتضوه واختاروا أهله، جزاء الخيانة إبان الحرب.. وليس كما صور «المؤلف»- الذى تعاطف مع الخونة ضد الإسلام الذى فتح لهم باب المساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات!..

٤- وفيما يتعلق بزعم «المؤلف» تغير موقف القرآن من عقيدة النصارى فى ألوهية المسيح، بسبب الأحداث

التاريخية.. فإن أى عارف بعقائد الإسلام يدرك أن هذا الدين إنما بدأ وتمحور حول عقيدة التوحيد، التى جسدتها شهادة «أن لا إله إلا الله».. وهذه العقيدة الرافضة رفضا قاطعاً وجذرياً وعميقاً كل عقائد النصارى فى ألوهية المسيح وبنوته لله، كانت وظلت ثابتة ونقية وشاملة وجامعة منذ بدأ الإسلام.. وحتى هذه اللحظات.. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ولم يقل كاتب- عبر تاريخ الإسلام- قبل «مؤلف» هذا الكتاب- إن موقف الإسلام والقرآن من عقائد النصارى فى المسيح قد تغير فى المرحلة المدنية عنه فى المرحلة المكية!..

٥- ثم.. ألا يعلم «المؤلف» أن قمة التوحيد فى الاعتقاد الإسلامى- الرافض لكل عقائد النصارى فى ألوهية المسيح.. وبنوته.. وللحلول والاتحاد والتجسد والتشبيه- وقد أوجزته سورة الإخلاص المكية:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

[الإخلاص: ١-٤]

٦- وألم يعلم «المؤلف»- وهو الحاصل على الدكتوراه فى أصول الدين.. والأستاذ فى الدراسات الإسلامية!.. أن قمة التنزيه الإسلامى للذات الإلهية، الذى بلغ أعلى درجات التجريد، قد قرره وأكده القرآن المكى فى سورة الشورى- المكية- بقول الله- سبحانه وتعالى:

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[الشورى: ١١]

وأن علماء الإسلام قد ظلوا- على مر تاريخه- أوفياء لهذا التوحيد والتنزيه الرافض لكل عقائد النصارى فى الألوهية حتى لقد صاغوا فى التعبير عن هذا التنزيه والتجريد عبارتهم الشهيرة: «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك»..

فعندما لم تستطع اللغة البشرية التعبير عن كنه هذا التنزيه والتجريد، كان التعبير عنه بالنفى لأى مماثلة أو مشابهة أو حلول أو اتحاد أو تجسيد- وهو عين ما سقطت

فيه عقائد النصارى فى تأليه المسيح !-.

وإذا كان التوحيد، الذى بدأ به الإسلام منذ اللحظة الأولى لظهوره.. والذى ترسخ فى الصراع مع الشرك فى المرحلة المكية، قد أصبح عنوانا على الإسلام.. فهل يجوز لعاقل أن يزعم «حنان» هذا التوحيد على عقائد النصارى فى المسيح، وهى التى فاقت فى الشرك شرك الوثنية الجاهلية؟!..

إن مشركى الوثنية الجاهلية- من عبدة الأصنام- كانوا يؤمنون بأن الله الواحد هو خالق العالم.. وأن أصنامهم مجرد وسائل يتوسلون بها إلى الله الواحد الخالق:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

[الزمر: ٣٨]

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾

[الزمر: ٣]

ومع ذلك فإن موقف القرآن والإسلام معروف وشهير من هؤلاء المشركين.. فهل.. يعقل أن يكون القرآن «ناعما» مع الانحراف النصرانى الذى تجاوز وتفوق على هذا الشرك الجاهلى عندما قال أصحابه: «إن المسيح هو الله.. وهو فى ذاته هو الله.. وهو ذات الله.. وأنه خالق كل شىء، وبه كان كل شىء، وبدونه لم يكن شىء.. وأنه خالق كل الأشياء ومالكها»!!.. هل يعقل أن يتساهل الإسلام- فى مكة أو المدينة.. أو فى أى مكان أو عصر- مع هذا الشرك الذى أحال أهله «الأب» إلى الاستيداع؟!..

فأين هى- إذن- «حكاية» التغيرات والانقلابات التى أحدثتها وقائع التاريخ المدنى- بسبب غزوتى مؤتة وتبوك- إزاء هذا الثابت الراسخ الدائم من ثوابت الاعتقاد فى الإسلام؟!..

٧- ثم.. ألا يدرك أى قارىء للقرآن- حتى ولو لم يكن متخصصا فى أصول الدين.. وأستاذا للدراسات الإسلامية- أنه لا فارق فى الموقف القرآنى- إزاء عقائد النصارى فى المسيح- بين القرآن المكى والقرآن المدنى؟...وعلى سبيل المثال، لا الحصر:

● ففى سورة التوبة - المدنية - نقرأ :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[التوبة : ٣٠]

وهو ما نجد فى سورة مريم - المكية - بقوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

[مريم : ٣٤ - ٣٦]

● وما نجده فى سورة المائدة - المدنية - من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾

[المائدة : ٧٢]

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[المائدة : ٧٣]

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[المائدة : ٧٥]

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[المائدة : ١١٦ - ١١٨]

هذا الذى نطالعه فى القرآن المدنى، هو ما وجدناه فى القرآن المكى- بسورة الإخلاص- وبسورة الشورى- على نحو ما سبق ذكره-.. وهو ذات ما نجده فى سورة الزخرف- المكية- بقول الله- سبحانه وتعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤)﴾

[الزخرف: ٦٢، ٦٤]

٨- ثم.. أين انقلاب القرآن المدنى على المسيح- من الحنان إلى الوطأة الشديدة- كما زعم «المؤلف» لهذا الكتاب- وفى ذات السورة المدنية- سورة المائدة- التى أوردنا منها النقد والنقض والتفنيد والإبطال لعقائد النصارى فى المسيح- نقرأ فى ذات السورة المدح لعيسى وللحواريين، والحديث عن نعم الله عليهم:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾

[المائدة: ١١٠- ١١٥]

فأين هى المتغيرات والانقلابات التى أحدثتها غزواتا مؤتة سنة ٨هـ سنة ٦٢٩م وتبوك سنة ٩هـ سنة ٧٣٠م فى القرآن وعقائد الإسلام إزاء عقائد النصارى فى المسيح- عليه السلام- ؟!..

٩- ثم.. إن آيات سورة المائدة- المدنية- التى ذكرناها- وهى قاطعة فى نفى ألوهية المسيح، وفى التشنيع على عقائد النصارى فيه.. قد نزلت- كما يقول القرطبى [٦٧١هـ ١٢٧٣م] فى [الجامع لأحكام القرآن]- نزلت «منصرف الرسول- ﷺ- من الحديبية»[1] سنة ٦هـ.. أى قبل عامين من غزوة مؤتة سنة ٨هـ.. وقبل ثلاثة أعوام من غزوة تبوك سنة ٩هـ.. ومن ثم فلا علاقة لهذا الموقف القرآنى- الثابت والراسخ- بالأحداث التاريخية فى مؤتة وتبوك..

١٠- ثم.. أين تغير موقف القرآن المدنى من النصارى، وقد جاء فى سورة الحديد- المدنية : الموقف

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/٣٠.

العادل والمتوازن من النصارى: الثناء على عيسى، كرسول من رسل الله.. والمدح للإنجيل الذى جاء به.. والثناء على الذين اتبعوا رسالته الحقة.. وفى ذات الوقت الذم للذين ابتدعوا فى النصرانية ماليس فيها :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

[الحديد: ٢٦، ٣٧]

١١- ثم.. من قال- غير «مؤلف» هذا الكتاب- إن المباهلة بين رسول الله، ﷺ وبين نصارى نجران سنة ١٠هـ سنة ٦٣١م قد أحدثت تغيرا فى موقف

الإسلام من النصارى.. وها هو عهد رسول الله- ﷺ- إلى نصارى نجران- الذى أعطاه لهم بعد المباهلة- ينص على حقوق وامتيازات غير مسبوقة ولا ملحوقة لهم فى ظل أى دين آخر أو دولة أخرى أو حضارة من الحضارات.. فلقد جاء فى هذا العهد:

«لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل دين النصرانية فى أقطار الأرض، جوار الله وذمة محمد رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. أن أحمى جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى.. ولا يُجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهًا على الإسلام.. ويُخفض لهم جناح الرحمة، ويُكف عنه أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد.. لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على

المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»[1]..

١٢- ثم.. إننا نقرأ فى القرآن المدنى قياس خلق عيسى عليه السلام على خلق آدم عليه السلام"

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

[آل عمران: ٥٩]

وهو ما نجده فى المرحلة المكية، برسالة رسول الله- ﷺ- إلى النجاشى- ملك الحبشة- التى يثبتها «مؤلف» هذا الكتاب ص٨٤- ونصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم، ملك الحبشة، سلام أنت. فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم

(١) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص١١١ وما بعدها..

البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له».

ففى هذه الرسالة- المكية-:

- التوحيد الإسلامى النقى والخالص لله وحده لا شريك له..
- وأن عيسى عبد الله ومخلوق له، خلقه كما خلق آدم..

وما فى هذه الرسالة- المكية- من أن عيسى هو كلمة الله ألقاها إلى مريم.. نجده فى آية سورة النساء- المدنية:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[النساء: ١٧١]

وهذه هى العقيدة الموحدة والمنزهة التى كانت عليها

النصرانية الأولى- نصرانية النجاشى-.. والتى شهد النجاشى أنها مثل ما هو عليه وقومه..

١٣- ويشهد على ثبات الموقف القرآنى من عقائد النصارى.. ونفى تغير موقف القرآن المدنى من هذه العقائد عن موقف القرآن المكى منها، مطالعة الآيات القرآنية النافية لزعم النصارى اتخاذ الله ولدا.. ففى السور المدنية نقرأ:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ﴾

[البقرة: ١١٦]

أى تنزه سبحانه عن اتخاذ الولد..

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[التوبة: ٣٠، ٣١]

وهو ذات الموقف فى القرآن المكى، الذى نقرأ فيه:

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾

[يونس: ٦٨- ٧٠]

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾

[مريم: ٨٨- ٩٥]

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

[الأنبياء: ٢٦- ٢٩]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾

[مريم: ٣٠]

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[مريم: ٣٤- ٣٧]

كذلك، نقرأ فى سورة الزخرف- المكية:

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾

[الزخرف: ٥٧- ٥٩]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ (٦٤) فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴾

[الزخرف: ٦٤، ٦٥]

ففى هذا القرآن المكى نقرأ النقد والنقض والتفنيد لعقائد النصارى فى المسيح.. والوعد والوعيد لهم بالويل الشديد على هذا الاعتقاد.. ذلك أن الاعتقاد القرآنى الثابت والراسخ والدائم فى عيسى- عليه السلام- أنه عبد الله ورسوله- مثله فى ذلك كمثل الخالين من الأنبياء والمرسلين، ويستوى فى ذلك الاعتقاد وينفق القرآن المدنى على حد سواء.

ففى سورة الشورى- المكية- تقرأ:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾

[الشورى: ١٣]

وهو نفس ما نقرأه فى سورة البقرة- المدنية-:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

[البقرة: ١٣٦]

لا فرق فى ذلك الاعتقاد الإسلامى بين مكى ومدنى فى القرآن.

١٤- ثم.. لقد زعم «مؤلف» هذا الكتاب زعما يقدح فى أمانته العلمية ومصداقيته كباحث يحترم المنهج العلمى فى البحث، أثناء تعامله مع النص القرآنى، وذلك عندما ادعى- ص١٢، ١٣- أن القرآن الكريم قد

وقف من بنوة عيسى لله عند مجرد التساؤل، ولم يقدم على هذا التساؤل جوابا!!.. ونص عبارته فى هذا الادعاء الشاذ والغريب: «إن الإسلام لم يطرح يوماً واحداً على نفسه مشكلة العقيدة المسيحية الصرف. لقد جازها قبل أن تعرض لها، وحلها قبل أن تشكل عليه. فبقيت آية القرآن على شرطها فلم يعط عنها جواب علمى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾

[الزخرف: ٨١]

لقد افتقد «المؤلف» بهذا الزعم، شروط الأمانة العلمية فى التعامل مع النص القرآنى.. ولو كان أمينا حقا لذكر الآية التالية لهذه الآية، وهى التى تنزه الذات الإلهية- بلفظ التنزيه [سبحانه] عن هذه الدعوى وهذه الأوصاف- دعوى اتخاذ الولد- فتقول الآية:

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

[الزخرف: ٨٢]

ثم تأتى الآية التالية لها لتتوعد هؤلاء الذين زعموا أن لله ولدا فتقول:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾

[الزخرف: ٨٣]

فأين هو زعم «المؤلف» وقوف القرآن الكريم عند مجرد التساؤل فى دعوى اتخاذ الله ولدا؟!.. ولماذا لم يقرأ هذه الآيات مع ما جاء فى القرآن من الآيات الكثيرة التى تؤكد على التوحيد والوحدانية للذات الإلهية فى الألوهية.. وفى الذات.. والصفات.. والأفعال.. وهى القاطعة فى النقد والنقض والإبطال لعقائد النصارى فى اتخاذ الله المسيح ولدا.. وفى الربوبية والألوهية التى زعموها للمسيح- عليه السلام- ؟!..

بل إنه لو قرأ الآيات ٥٧- ٥٩، ٦٣- ٦٥ من ذات السورة- وهى التى تؤكد على عبودية عيسى لله الواحد، ونفى الألوهية عن غير الله الواحد الأحد.. ورأى أن هذه الآيات قد جاءت فى سياق الآية ٤٢ من ذات السورة- التى تنفى الألوهية عن غير الله، المنفرد

سبحانه بالوحدانية والعبودية عبر كل النبوات والرسالات.. لو صنع «المؤلف» ذلك- مجرد القراءة لهذا الآيات فى سياقها لما اقترف هذا الذى قال!.. فهذه الآيات- من سورة الزخرف المكية- تقول:

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

[الزخرف : ٥٧ : ٥٩]

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾

[الزخرف : ٦٣ : ٦٥]

ولقد جاءت هذه الآيات الواضحة، والفاصلة فى القضية، بعد الآية ٤٥ - من ذات السورة- والتى تقول:

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾

[الزخرف : ٤٥]

وكلها تقرر وتقطع بنفى الولد عن الله الواحد الأحد.. وبأن عيسى هو عبد الله ورسوله.. مثله كمثل الخالين من الرسل، عليهم الصلاة والسلام..

١٥- ولو كان صحيحا زعم «المؤلف» وقوف القرآن الكريم من اعتقاد المسيحيين ألوهية المسيح عند مجرد التساؤل، لما كان هناك مبرر لاعتراف «المؤلف» ذاته- ص١٤- بأن «بين الإسلام والمسيحية عقبات عقائدية كأداء لا يمكن أن يذللها التفاهم مهما تجرد الداعون إليه.. لأن الفوارق بين الديانتين تغور حتى الجذور العميقة».

وهو الاعتراف الذى كررته وأكدته «مقررات» مؤتمر التنصير الأمريكى الذى عقد فى «كولورادو»- فى مايو

١٩٧٨م- عندما قالت هذه المقررات: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. والنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً.. ولذلك، فإننا بحاجة إلى مئات المراكز، لفهم الإسلام، ولاختراقه فى صدق ودهاء»[١]!!

فهل هذا الإسلام، المستعصى على الوفاق مع عقائد النصارى فى المسيح، هو الذى وقف قرآنه من هذه العقائد عند مجرد السؤال، الذى لم يقدم عليه جوابا؟!!..

١٦- ويشهد على انتفاء تغير الموقف القرآنى من أهل الكتاب بالمدينة عنه بمكة، أن الآيات المدنية تحل الأكل من طعامهم والتزوج بالمحصنات من نسائهم:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ

(١) [التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى]- الترجمة العربية لوثائق مؤتمر كولورادو- ص٤٥٢- طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى- مالطا سنة ١٩٩١م.

مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٥) ﴾

(المائدة:٥)

كما كان حال القرآن المكى، الذى جاء فيه:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

فلا فرق بين مكى ومدنى فى الموقف من أهل الكتاب: الرفض لما يخالف التوحيد والتنزيه.. والأمر بحسن

التعامل مع المخالفين فى الاعتقاد..

ففى سورة المائدة- المدنية- نجد هذا الموقف المتوازن من النصارى.. الحكم بكفر من أله المسيح..:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾

(المائدة- ١٧)

وفى ذات السورة - المدنية - نقرأ مدح الإنجيل الذى جاء به عيسى:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٤٦)

فالله- سبحانه وتعالى- واحد أحد فرد صمد.. لم يلد ولم يولد.. ولم يكن له كفوا أحد.. تنزه- سبحانه- عن الصاحبة والولد.. وعن الحلول أو الاتحاد أو التجسد أو المشابهة لأى من المخلوقات.. سبحانه ليس كمثله شيء.. وكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك..

لا فرق فى هذه العقائد الثوابت والمحورية فى القرآن الكريم بين المكىّ منه والمدنىّ.. ولا علاقة للأحداث التاريخية بهذه العقائد الدينية، التى هى محور الاعتقاد فى دين الله الواحد عبر النبوات والرسالات.

١٧- بل إن هذا الموقف الإسلامى الثابت- الذى رفض عقائد النصارى فى ألوهية المسيح.. وبنوته لله.. وقتله وصلبه- مع إعطاء كامل حقوق المواطنة- الحقوق الدينية والمدنية- للنصارى.. وعموم غير المسلمين.. فى الدولة الإسلامية- قد تعدى ثباته الإطار المكانى- مكة والمدينة- إلى المدى الزمنى والتاريخى..

فبعد عصر النبوة: دخلت القبائل العربية النصرانية- وهى على ديانتها- فى علاقات الصلح مع دولة الخلافة الراشدة.. وغدت جزءا من رعية الدولة، أو حليفا يرعى

حسن الجوار مع الدولة الإسلامية.. وتجلى ذلك فى المعاهدات التى عقدت بين الدولة الإسلامية- دولة الخلافة الراشدة- وبين النصارى من أهل «القدس» وأهل «أرمينية».. وسكان «الجرجومة»- بالقرب من إنطاكية.. شمالى سوريا-.. وأهل «حمص».. «وبنى تغلب».. فلقد وُضعت عنهم الجزية- وهى بدل الجندية- عندما وقفوا- وهم عرب- مع العرب المسلمين ضد الروم المستعمرين!..

بل وتعدى هذا الموقف- الثابت.. والمتوازن- الإطار العربى إلى كل أقاليم الشرق التى حررتها الفتوحات الإسلامية من قهر الروم والفرس واستعمارهما.. فطبق ذلك على أهل «جرجان».. وأهل «أذريجان»[1].

وعندما حرر المسلمون- مع أرض مصر- نصرانيتها.. أعادوا لنصاراها كنائسهم التى كانت مغتصبة.. بل وجعلوا الأرثوذكسية المصرية علنية وشرعية، بعد أن كانت سرية ومضطهدة ومطاردة..

(١) البلاذرى: [فتوح البلدان] ص١٨٩. تحقيق: د..صلاح الدين المنجد. طبعة القاهرة ١٩٥٦م. وأبو يوسف: [كتاب الخراج] (ص١٣٨، ١٣٩. طبعة القاهرة ١٣٥٢هـ).

وأمنوا بطركها «بنيامين» [٣٩هـ ٦٥٩م].. وأعادوه إلى رعيته، وردوا إلى هذه الرعية كنائسها وأديرتها.. وأعلنوا «السلام الدينى» مع العقائد التى يرفضون.. حتى لقد شهد الأساقفة الذين كانوا شهودا على هذا الفتح التحريرى بأن المسلمين هم الذين أنقذوا نصرانيتهم من الإبادة الرومانية.. فقالوا: «إن الله، الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين- [الرومان]- وردهم إلى الإسماعيليين- [العرب المسلمين]- الذين حازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاصى [٥٠ ق هـ- ٤٣هـ/ ٥٧٤- ٦٦٤م] يقوى كل يوم فى عمله.. ولم يأخذ شيئا من أموال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما سلبا أو نهبا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام.. لقد أنقذنا أبناء إسماعيل من أيدى الرومان، وتركونا نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا فى سلام»[1].

(١) يوحنا النقيوسى: [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص٢٠١، ٢٠٢ ترجمة ودراسة: د.عمر صابر عبدالجليل. طبعة دار عين- القاهرة ٢٠٠٠م. و: د.صبرى أبوالخير سليم: [تاريخ مصر فى العصر البيزانطى] ص٦٢: طبعة دار عين- القاهرة ٢٠٠١م.

فثوابت الإسلام لم تتغير- لا عبر المكان ولا عبر الزمان- :

● الرفض القاطع لعقائد النصارى فى ألوهية المسيح.. وبنوته.. وقتله وصلبه.

● وإقامة.. وحماية حرية الاعتقاد الدينى لكل أصحاب الديانات.. وحراسة كامل الحقوق المدنية لمطلق الإنسان- الذى كرمه الله، واستخلفه لعمران هذا الوجود.

- ٢ -

الموقف القرآنى من دعوى القتل والصلب للمسيح عليه السلام

إن آيات القرآن الكريم الواردة فى سورة النساء حاكمة فى نفى دعوى القتل والصلب عن المسيح- عليه السلام- :

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

النساء: (١٥٦- ١٥٨)

ومن ثم فهذه الآيات حاسمة فى إبطال عقائد النصارى فى قتل المسيح وصلبه-

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ ﴾

•

هكذا بكل أدوات النفى، وأوصاف التأكيد.. وألفاظ اليقين.

وهذه الآيات- من سورة النساء- يقول البعض إنها

مكية، لأن فيها أوصاف خطاب القرآن المكى الذى يبدأ بـ «يا أيها الناس».. ومن ثم فإنها سابقة فى النزول وتقرير هذا الاعتقاد، وتفنيد عقائد النصارى فى القتل والصلب، على الأحداث التاريخية- غزوتى مؤتة وتبوك- التى يزعم «مؤلف» هذا الكتاب أنها غيرت موقف القرآن والإسلام من عقائد النصارى فى المسيح.

وحتى لو سلمنا- مع البعض الآخر- بأن هذه الأيات مدنية- فإنها قد نزلت فى اليهود الذين نقضوا الميثاق.. وكفروا.. وقتلوا الأنبياء.. أى أن مناسبة نزولها كانت اشتداد الصراع بين الإسلام واليهود بالمدينة. وهو تاريخ سابق على لقاء الإسلام بالنصرانية- فى مؤتة ٨هـ وتبوك ٩هـ ونجران ١٠هـ.. ومن ثم، فالآيات معبرة عن ثوابت القرآن فى الاعتقاد- إزاء اليهود والنصارى- ولا علاقة لها بمتغيرات الأحداث التاريخية- كما يزعم «مؤلف» هذا الكتاب[1].

لكن «المؤلف» تجاوز الافتراء على القرآن.. فذهب

(١) انظر فى أسباب النزول: السيوطى [أسباب النزول] ص٦٦، ٦٧. طبعة القاهرة ١٣٨٢هـ.

وادعى أن من علماء الإسلام وأئمة تفسير القرآن الكريم من تبنى هذا الافتراء.. وذلك عندما نسب إلى الإمام فخر الدين الرازى [٥٤٤- ٦٠٦هـ- ١١٥٠- ١٢٠٩م]- صاحب التفسير الشهير [مفاتيح الغيب] الإقرار بصلب المسيح، اعتمادا- كما قال- على «تواتر» روايات النصارى الشاهدة على هذا الصلب.. ومع هذا الادعاء على الإمام الرازى، ادعى «المؤلف» «غموض» موقف القرآن من هذا الموضوع!!..

نعم.. افترى «مؤلف» هذا الكتاب هذا الافتراء، فقال- ص٢١٥، ٢١٦: «.. ولكن الأمر المهم فى هذا الفصل هو مشكلة الصليب الذى يتنكر له عامة المسلمين مستندين إلى آية فى القرآن طالما تخبط فى شرحها الشارحون إذ أنها غاية فى الصعوبة. يقول القرآن إن الله رفع عيسى إليه، فما قتله اليهود وما صلبوه يقينا، بل «شبه لهم». وقد لا يكون فى هذا الكلام رفض الصلب كحدث تاريخى، بل اعتراض على ادعاء بنى إسرائيل أنهم قتلوا كلمة الله، عيسى، بينما كلمة الله هى الظافرة كل حين. وقد أقر فعلا بعض

المفكرين والفلاسفة المسلمين، كإخوان الصفا وفخر الدين الرازى، أن المسيح صلب حقا، وأن القتل ورد على هيكل ناسوته لا على نفسه التى تخلصت فى فسحة السموات».. أما معظم المفسرين التقليديين فلم يعيروا هذه المشكلة اهتماما كبيرا، بل حصروا كل همهم فى إيجاد «الشبه» الذى صُلب مكان عيسى.. وقد يكون لهذا الزعم صلة ببدعة نصرانية كان لها قبيل الإسلام معتنقون كثيرون فى نجران، وهى بدعة «الشبهيين» الذين كانوا ينكرون آلام المسيح، وقد ادعى البعض منهم أن سمعان القيروانى كان ذلك الشبه، كما ادعى بعض المفسرين فى الإسلام أن المسيح نفسه لم يُصلب شبهة، وإنما أرجف بقتله فشاع ذلك بين الناس.

وعلى كل حال، فإنه من الغرابات الكبرى أن ينقض حدث الصلب وقد شهد له من عاينه من الأصحاب والأعداء، نصارى ويهود، وعلى الاعتقاد به عاشت النصرانية، أجيالا قبل الإسلام، وذلك ما تنبه إليه الفخر الرازى فى تفسيره فقال: «إن النصارى على كثرتهم فى مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم

للمسيح وغلوهم فى أمره أخبروا أنهم شاهدوه مقتولا مصلوبا. فلو أنكرنا ذلك كان طعنا فيما ثبت بالتواتر. والطعن فى التواتر يوجب الطعن فى نبوة محمد وعيسى وسائر الأنبياء»..

ويقول- [أى الرازى]- أيضا: «فتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوءات بالكلية».. هذا هو الادعاء.. والافتراء- على القرآن.. وعلى علماء الإسلام-.. وأمامه نتساءل:

- هل هناك «تواتر» نصرانى على قتل المسيح وصلبه؟

إن التواتر- من النصوص أو الوقائع- هو ما يرويه جمع يستحيل اجتماعهم وتواطؤهم على الكذب، عن مثلهم.. إلى المصدر الأصلى، دونما انقطاع..

● وفيما يتعلق بالنصوص والوقائع النصرانية- وهل فيها ما ينطبق عليه شرط التواتر أم لا؟- فإن الأناجيل الأقدم من الأربعة المشهورة.. وكذلك المذاهب النصرانية التى انتشرت وسادت قبل عصر المجامع الكنسية البيزنطية- ومن هذه المذاهب «الآريوسية»- نسبة إلى «آريوس» [٢٨٠- ٣٣٦م] التى سادت فى الشرق إلى

القرن الرابع الميلادى.. وما كان عليه النجاشي وأهل الحبشة.. ومن أشار إليهم «مؤلف» هذا الكتاب من أهل نجران-.. كل هؤلاء كانوا ينكرون القتل والصلب للمسيح عليه السلام - إذن، فلا تواتر، لأنه منقطع.. أى أن دعوى القتل والصلب طارئة على النصرانية..

● ثم إن عقيدة القتل والصلب هذه مؤسسة على عقيدة «الخطيئة»، التى هى عقيدة لا أخلاقية.. وساقطة بمعايير المنطق والعدل الإلهى، فليس من العدل الإلهى تأبيد خطيئة حواء وآدم فى أجيال البشرية التى لم ترتكب وزرا، حتى تكون هناك حاجة وضرورة إلى تضحية الله بابنه لخلاص الناس من هذه الخطيئة التى لم يرتكبوها!.. فالعدل الإلهى يقول:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(الأنعام: ١٦٤)

وذلك فضلا عن توبة الله على آدم وحواء.. وقدرته- سبحانه وتعالى- على أن يتوب على من يشاء، ويخلصه دون حاجة إلى القتل والصلب لابنه!..

● وفى نقض حدوث «تواتر نصرانى» أصلا، يعترف «المؤلف» ذاته باختلاف النصارى حتى فى اسم يسوع.. وفى داخل اللغة الواحدة!.. فيقول ص١٢٨ [هامش (٥٨)]: «إن النساطرة يقولون «إيشوع»- بالسريانية- بينما اليعاقبة يقولون «يشوع»- بالسريانية.. أيضا».

فإذا لم يكن هناك اتفاق- فضلا عن التواتر- فى اسم يسوع، فكيف يكون هناك تواتر على قتله وصلبه؟..

● وأين التواتر فى النصوص النصرانية - التى هى مصدر الاعتقادات جميعها - والاختلافات والتناقضات فى الأناجيل قد ملأت صفحات الكتب التى رصدتها؟!(١)

● وأين التواتر، ومذاهب النصرانية الحالية مختلفة فيمن وقع عليه القتل والصلب:

- أعلى الهيكل الناسوتى؟ - كما يقول النساطره -

- أم على جميعه - الناسوت فيه واللاهوت - كما

(١) انظر- على سبيل المثال- كتب [الاختلافات فى الكتاب المقدس] و[السيف الصقيل] و[حول موثوقية الأناجيل والتوراة] و[المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل] و[إظهار الحق].. إلخ.. إلخ.

يقول غيرهم؟

● وأين التواتر.. ومؤلف هذا الكتاب يذكر - ص٢٣٦، ٢٣٧ -: «فأخذوا المسيح وأخرجوه وحملوه الخشبة التي صلبوه عليها. هذا في إنجيل يوحنا. فأما متى ومرقس ولوقا فيقولون: وضعوا الخشبة على عنق رجل قرنانى - وهو سمعان القيروانى -»!!

فليس هناك اتفاق بين الأناجيل على وقائع الحدث!..

● وأين المنطق والعقل - وهى من شروط التواتر، وإلا كان النص معلولا وشاذا -.. و«المؤلف» يقول - ص٢٣٨ -: إن المسيح - بعد القيامة - قال لهم: «طوبى للذين لم يرونى وصدقوا بى. وجاؤه بقطعة سمك فأكل».

- فإذا كان الناسوت قد صلب ومات، والذى قام هو اللاهوت.. فكيف أكل اللاهوت سمكا؟!..

● وأين التواتر.. وحتى الأناجيل الأربعة المشهورة، والمعتمدة لدى أغلب الكنائس النصرانية، مختلفة ومتناقضة فى وقائع القتل والصلب.. ويكفى أن نشير - مجرد إشارات - إلى نماذج من التناقضات

والاختلافات التى حفلت بها هذه الأناجيل فى واقعة القتل والصلب.

- ففى انجيلى متى ومرقس: أن الذى حمل الصليب هو سمعان القيروانى - متى ٢٧: ٣٢ ومرقس ١٥: ٢١، ٢٢ -.. بينما نجد إنجيل يوحنا يذكر أن المسيح هو الذى حمل الصليب - يوحنا ١٩: ١٧ -.

- وإبان محاكمته، تختلف الأناجيل المشهورة، فيقول متى - ٢٧: ١١ - ١٤: إنه لم يتحدث بكلمة، بينما يقول يوحنا - ١٨: ٣٣ - ٣٨، ١٩: ٩ - ١١ -: إن يسوع تحدث كثيراً!..

- كذلك تختلف الأناجيل المشهورة فى لون الرداء الذى ألبسوه للمسيح.. فهو فى متى - ٢٧: ٢٧ - ٢٩ - «قرمزى».. بينما هو فى مرقس - ١٥: ١٧ - «أرجوانى»!..

- كذلك تختلف هذه الأناجيل المشهورة فى عدد اللصوص الذين صلبوا معه.. ففى مرقس - ١٥: ٢٧، ٣٢ - أنهما لصان.. وفى لوقا - ٢٣: ٣٩ - ٤٣ - لص واحدا!..

- كذلك اختلفت هذه الأناجيل فيما قاله المسيح وهو على الصليب.. ففي مرقس - ١٥ : ٣٤ - : «وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ألوى ألوى لم شبقتني، الذي تفسيره: إلهي إلهي لماذا تركتني»؟.. وفي لوقا - ٢٣ - ٤٦ - : «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح».

بينما نجد اختلافا ثالثا في رواية هذه الواقعة، عند يوحنا - ١٩ : ٣٠ - «فلما أخذ يسوع الخل قال: قد أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح»!

فإذا كانت الأناجيل المشهورة قد اختلفت هذه الاختلافات الكثيرة والجوهرية في رواية هذه الجزئية المحددة من مشهد الصلب.. فإن ما جاء في هذه الأناجيل من اختلافات وتناقضات حول وقائع هذا الحدث ومشاهده يقطع بأنه لا علاقة لهذه الروايات وهذه النصوص بأي لون من ألوان التواتر، حتى لو كان واهيا؟!..

● وإذا كان هذا هو حال الاختلافات التي امتلأت بها

صفحات الأناجيل المشهورة - والتي ألفت فيها عشرات الكتب.. فإن عدد الأناجيل الأخرى، التي تنكر ألوهية المسيح وقتله وصلبه.. والتي تتحدث عنه عبدا ورسولا لله - سبحانه وتعالى - هي أكثر من أن نحصيه في هذا المقام..

وعدد من هذه الأناجيل - غير المشهورة - أقدم في تاريخ كتابته من هذه الأناجيل المشهورة.. ويكفي أن نقول إن هذا الكتاب الذي نتحدث عنه - [المسيح في الإسلام] - قد أشار إلى ثلاثة عشر إنجيلا من هذه الأناجيل غير المشهورة.. وهي:

١ - إنجيل متى - وهو غير الإنجيل المشهور لمتى -..

٢ - وإنجيل مرقوسي..

٣ - وإنجيل نيقوديموس..

٤ - وإنجيل يعقوب..

٥ - وإنجيل لوقا - في نصه اللاتيني -..

٦ - وإنجيل لوقا - في نصه السرياني -..

٧ - وإنجيل الطفولة - في نصه الأرمني -..

٨- وإنجيل الطفولة- فى نصه السريانى-..

٩- وإنجيل طفولة سيدنا- فى نصه الأرمنى-..

١٠- وإنجيل طفولة سيدنا- فى نصه العربى-..

١١- وإنجيل توماس- الذى ذهب يبشر فى أرض بابل-..

١٢- وإنجيل فيلبس- الذى ذهب يبشر فى القيروان وقرطاجنة-..

١٣- والنص العربى القديم لقصة يوسف النجار..

فإذا أضفنا إلى هذه الأناجيل، التى ذكرها «مؤلف» الكتاب:

١٤- إنجيل برنابا..

١٥- وإنجيل يهوذا..

١٦- وإنجيل العبريين..

١٧- وإنجيل الناصريين..

١٨- وإنجيل الحقيقة..

وكذلك الأناجيل التى اكتشفت ضمن «مخطوطات نجع حمادى»- فى صعيد مصر- سنة ١٩٤٧م- وفيها ٥٣ نصا.. وتقع فى ١١٥٣ صفحة.. والتى جمعت فى

١٣ مجلدا- وهى التى يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل كتابة الأناجيل الأربعة المشهورة بعشرين عاما.. ومنها:

١٩- إنجيل مريم المجدلية..

٢٠- وإنجيل فليب..

٢١- وإنجيل بطرس..

٢٢- وإنجيل المصريين..

إذا علمنا هذا العدد غير المحصور للأناجيل.. والذى وصل فى الموسوعة الأمريكية إلى ستة وعشرين إنجيلا.. ووصل فى بعض الدراسات إلى مائة إنجيل!!.. ظلت شائعة ومعتمدة عند طوائف نصرانية حتى القرن الرابع الميلادى، عندما قرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م إلغاء الأناجيل التى لا تقول بألوهية المسيح!!..[١]

إذا علمنا ذلك.. وعرفناكم الاختلافات والتناقضات الهائلة بين كل هذه الأناجيل، ظهر لنا جليا أن ما تحدث عنه

(١) أحمد عبدالوهاب [المسيح فى مصادر العقائد المسيحية] ص٣٧، ٣٨- طبعة القاهرة- مكتبة وهبة- ١٩٧٨م.- والنقل عن: محمد السعدى [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] ص٣٣. طبعة جميعة الدعوة الإسلامية العالمية- ليبيا ١٩٨٦م.

«مؤلف» هذا الكتاب من وجود «تواتر» فى عموم النصوص الدينية النصرانية هو محض خرافة من الخرافات!..

***

والآن نأتى إلى افتراء «المؤلف» على الإمام فخر الدين الرازى.. وادعائه أنه قد قال بصلب المسيح، اعتمادا على وجود «التواتر النصرانى» فى هذا الموضوع..

● لقد كذب «المؤلف» عندما نسب إلى الرازى وبعض المفكرين والفلاسفة المسلمين «أن المسيح صلب حقا، وأن القتل ورد على هيكل ناسوته. لا على نفسه التى «تخلصت إلى فسحة السموات».. نعم.. كذب «المؤلف».. لأن الرازى قد أورد هذا الرأى فى سياق «شرح مذاهب النصارى فى هذا الباب.. وليس كرأى له هو أو للمفكرين والفلاسفة المسلمين.. فهو زعم للنصارى النسطورية، ومن وافقهم من الحكماء- [أى الفلاسفة]- وليس رأيا للرازى أو غيره من المسلمين!

ونص عبارة الرازى: «أما النسطورية فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأكثر

الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول»[1]

فهو زعم نصرانى نسطورى.. كذب «المؤلف» عندما افتراه على الرازى وبعض المفكرين والفلاسفة المسلمين..

● ويؤكد ذلك ما قاله الرازى- ج١١ص١٠٤- أثناء تفسيره قول الله- سبحانه وتعالى-:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾

(النساء: ١٥٧، ١٥٨)

«أنه تعالى أخبر أنهم شاكون فى أنه هل قتلوه أم لا، ثم أخبر محمدا بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه»

● وكذلك الحال فى دعوى «المؤلف» على الرازى اعتماد «التواتر النصرانى»، فلقد أورد الرازى، فى معرض السؤال:

«[السؤال الثانى].... وبالجملة، ففتح هذا الباب يوجب الطعن فى التواتر، والطعن فيه- [أى فى التواتر]- يوجب الطعن فى نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذا

(١) الرازى [مفاتيح الغيب] (١٠٣/١١) طبعة دار الفكر العربى. القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

فرع يوجب الطعن فى الأصول فكان مردودا»

لقد أورد الرازى ذلك النص فى معرض السؤال.. ثم أورد الجواب على هذا السؤال والاعتراض، فقال:

الجواب: ... وبهذا الطريق زال السؤال. ولا يقال: إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولا، لأنا نقول: إن تواتر النصارى ينتهى إلى قوم قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب.[1]

فالرازى ينكر دعوى التواتر النصرانى أصلا، لأن شروط التواتر -ومنها استحالة اتفاق الرواة واجتماعهم على الكذب- غير متوفرة فيه.

أما «المؤلف» -المتخصص فى أصول الدين.. والأستاذ فى الدراسات الإسلامية -فلقد كذب على الرازى وعلى علماء الإسلام وفلاسفته ومفكريه، عندما عكس الآراء إلى نقيضها، فزعم أن الرازى قد اعتمد «التواتر النصرانى»، وسلم -بناء عليه- بقتل المسيح وصلبه!!

(١) المصدر السابق (١١/ ١٠١، ١٠٢).

-٣-

الافتراء على علماء الإسلام فى قضية التحريف للتوراة

وبعد افتراء «مؤلف» هذا الكتاب -[المسيح فى الإسلام]- على علماء الإسلام - خاصة الإمام فخر الدين الرازى- فى قضية :

ـ قتل المسيح وصلبه..

ـ وفى قضية : وجود «تواتر نصرانى» للنصوص والوقائع الدينية..

وهى التى رددنا عليها.. وفندناها..

ذهب «المؤلف» إلى الافتراء على الرازى -للمرة الثالثة- بادعاء أنه قد أنكر حدوث التحريف فى ألفاظ التوراة.. وكأن الرازى -برأى «المؤلف»- ينكر ويتنكر لآيات القرآن الصريحة، التى تحدثت عن تحريف اليهود للتوراة -بصريح لفظ التحريف- فى آيات ثلاث :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٧٥]

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾

[النساء: ٤٦]

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾

[المائدة: ٤١]

كما تحدثت آيات القرآن عن ذلك التحريف اليهودى للتوراة، فى معرض الوعيد لمقترفيه، فقالت:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾

[البقرة: ٧٩]

ذهب «المؤلف» إلى الافتراء على الإمام فخر الدين الرازى، فى هذه القضية، فقال: فى ص٢٧٨ -هامش (١٢٠)-: «يعتقد كثير من المسلمين عن جهل أن القرآن يتهم النصارى بتحريف الإنجيل، ولم يتهم الكتاب سوى البعض من اليهود أنهم حرفوا المعنى لا اللفظ، لأن مثل هذا التحريف يستحيل أن يسلم به

العقل كما أدرك ذلك الرازى فنفى ادعاء المفسرين السابقين، إذ لا يحتمل تغيير اللفظ «لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ».

لقد كذب «المؤلف» عندما نسب إلى الرازى استحالة التحريف فى ألفاظ التوراة «لأن مثل هذا التحريف يستحيل أن يسلم به العقل، لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ»..

ذلك أن «المؤلف» قد أخذ ما أورده الرازى عن القرآن الكريم -المنقول بالتواتر- فجعله كلاما للرازى عن التوراة!!..

وعبارات الرازى -التى تفضح هذا الكذب والتدليس والتزييف- واضحة وحاسمة.. فلقد قال فى تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٧٥]

«قال القفال: التحريف التغيير والتبديل.. ولقد روى عن ابن عباس أنهم زادوا فيه ونقصوا.. وقال القاضى:

.. وإنما يمتنع -[تحريف اللفظ]- إذا ظهر كلام الله ظهورا متواترا كظهور القرآن، فأما قبل أن يصير كذلك فغير ممتنع تحريف نفس كلامه..»(١)

فالمتواتر، الذى يمتنع تحريف لفظه -برأى الرازى- هو القرآن..

● وبعد أن عرض الرازى لليهود الذين حرفوا التوراة.. وهل هم الذين كانوا فى زمن موسى، عليه السلام؟.. أم الذين كانوا زمن محمد -ﷺ- قال: «وأما إن قلنا: المحرفون هم الذين كانوا فى زمن محمد -ﷺ- فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد-ﷺ- وذلك إما أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته، أو لأنهم حرفوا الشرائع كما حرفوا آية الرجم»(٢) فكلام الرازى قاطع بتحريف اليهود لألفاظ التوراة ونصوصها.

ولقد عرض الرازى لهذه القضية مرة ثانية، فقال -فى تفسيره قول الله سبحانه:

---

(١) المصدر السابق (١٤٤/٣).
(٢) المصدر السابق (١٤٤/٣).

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[المائدة: ٤١]

قال الرازى -فى تفسير تحريفهم للتوراة-: «..وذلك الكذب هو ما يقوله رؤساؤهم من الأكاذيب فى دين الله تعالى فى تحريف التوراة، وفى الطعن فى محمد -ﷺ- (١)

ثم يقطع بأن التحريف كان بوضع ألفاظ مكان ألفاظ أخرى، فلقد وضعوا لفظ «الجلد» مكان لفظ «الرجم» فى عقوبة الزانى المحصن.. ونص عبارة الرازى: «.. فيقول: قوله

---

(١) المصدر السابق (٢٣٨/١١).

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾

أى وضعوا الجلد مكان الرجم»[1].

ثم يؤكد ذلك فى تفسيره قول الله تعالى:

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾

فيقول: « .. وخزى اليهود فضيحتهم بظهور كذبهم فى كتمان نص الله تعالى فى إيجاب الرجم» كما يقول: «إنهم سماعون للأكاذيب التى كانوا ينسبونها إلى التوراة»[2].

فالتحريف قد وقع منهم فى النصوص والألفاظ، وليس فقط فى بعض المعانى- كما ادعى «المؤلف».. ذلك أن «كتمان النص» هو حذف له.. أى تحريف فاضح للألفاظ.

ثم عاد الرازى فأفاض فى الحديث عن ذلك وهو يفسر قول الله سبحانه:

(١) المصدر السابق (١١/٢٣٩).

(٢) المصدر السابق (١١/٢٤٠، ٢٤١).

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦]

فقال: «أعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم يشترون الضلالة شرح كيفية تلك الضلالة، وهى أمور:

أحدها: أنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه»[1].. ثم بين كيفية التحريف الذى أحدثوه.. فذكر آراء المفسرين فى ذلك، وكيف أن منهم من قال: «إنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر.. ونظيره قوله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾

[البقرة: ٧٩]

(١) المصدر السابق (٩/١٢٠).

● ثم أورد الرازى اعتراض البعض على هذا الرأى- أن التحريف كان للألفاظ- فقال: «فإن قيل: كيف يمكن هذا فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب؟»

ثم أورد – فى الإجابة على هذا الاعتراض- عدة آراء، منها:

«الأول: قلنا لعله يقال: القوم كانوا قليلين، والعلماء بالكتاب كانوا فى غاية القلة فقدروا على التحريف.

والثانى: أن المراد بالتحريف إلقاء الشبهة الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية»[1].

● ثم خلص الرازى إلى أن اليهود قد جمعوا كل ألوان التحريف- فى الألفاظ وفى التأويلات للمعانى- وذلك عندما علل استخدام القرآن- فى سورة النساء- لتعبير

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

واستخدامه -فى سورة المائدة- تعبير

---

(١) المصدر السابق (٩/١٢١).

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ . فقال: «لقد ذكر الله ههنا: ﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ وفى المائدة ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ والفرق: أنا إذا فسرنا التحريف بالتأويلات الباطلة، فهنا قوله:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك الألفاظ من الكتاب. وأما الآية المذكورة فى سورة المائدة، فهى دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب، فقوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ إشارة إلى التأويل الباطل، وقوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ إشارة إلى إخراجه عن الكتاب»[1].

تلك هى نصوص الإمام فخر الدين الرازى، فى تفسيره للآيات التى تحدثت عن تحريف اليهود

---

(١) المصدر السابق (٩/١٢١، ١٢٢)

الكتاب.. وهى نصوص شاهدة وقاطعة على قوله - مع القرآن الكريم- بأن اليهود قد وقع منهم التحريف بنوعيه للتوراة: تحريف التأويلات الفاسدة للمعانى.. والتحريف للألفاظ:

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾

[البقرة: ٧٩]

فأين من قول الرازى -هذا الواضح والحاسم- ذلك الكذب الذى نسبه «مؤلف» هذا الكتاب إلى هذا الإمام العظيم؟!

* * *

● ثم.. من قال إن الأناجيل أو التوراة منقولة ألفاظها بالتواتر؟.. أليست الترجمة وجميعها مر بأكثر من ترجمة -فى حد ذاتها تغييرا للألفاظ، يصل إلى درجة «الخيانة» للنص الأصلى، كما تعارف على ذلك المترجمون؟!..

وأليست التناقضات -فى العهدين القديم والجديد- شاهدة على التحريف والتغيير والتبديل، ومن ثم على انتفاء أى «تواتر»؟!..

● لقد نزلت توراة موسى -عليه السلام- بمصر، وباللغة الهيروغليفية -اللغة المصرية القديمة- التى كان يتكلمها موسى ومن أرسله الله إليهم- فرعون وملئه وبنى إسرائيل، الذين كانوا يعيشون فى مصر منذ قرون-.. ثم حدثت القطيعة بين بنى إسرائيل وهؤلاء وبين هذه التوراة.. عبدوا أثناءها العجل، وتمردوا على الشريعة.. ثم عبدوا آلهة الكنعانيين بعد غزوهم أرض كنعان.. ولقد توفى موسى -عليه السلام- الذى نزلت عليه التوراة بمصر.. وبلغتها.. ودفن بمصر، قبل ظهور اللغة العبرية بأكثر من قرن من الزمان.. إذ العبرية، التى أعاد بنو إسرائيل كتابة تراثهم وشريعتهم بها، قد نشأت فى أرض كنعان، كخليط من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغت واللهجات الأخرى- سامية وغير سامية- حوالى ١١٠٠ق.م.. ثم أعاد أحبار اليهود كتابة تراثهم وشريعتهم مرة أخرى- بعد الدمار الذى

أصاب وجودهم بفلسطين- وذلك إبان السبى البابلى [٥٨٧- ٥٣٨ ق.م].. وعلى امتداد قرون وقرون حدثت الإضافات والتغييرات والتبديلات العديدة، فى عصور مختلفة، وبأقلام متعددة، إلى هذا التراث، حتى استوى على ما هو عليه.. ثم ترجم هذا التراث بعد ذلك- أسفار [العهد القديم] إلى اللغات العديدة التى هو فيها الآن..

فمن هو العاقل الذى يستطيع أن يدعى أن الألفاظ التى يُنطق بها هذا [العهد القديم] حاليا-فى الترجمات العديدة إلى اللغات المعاصرة- هى ذات الألفاظ التى نزلت بها التوراة على موسى بألفاظ الهيروغليفية- لغة المصريين القدماء-؟!

يقول الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على -وهو من أبرز الأساتذة الخبراء فى التوراة والتراث العبرى-: «إن العبرية -والتى هى خليط من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات -سامية وغير سامية- لا يرجع تاريخ ظهورها إلى ما قبل ١١٠٠ ق.م .. وإذا علمنا أن موسى ولد فى مصر، ونشأ فى مصر، وتثقف ثقافة مصرية، وتدرج فى

مختلف الوظائف العسكرية حتى أصبح -كما يحدث المؤرخ اليهودى «يوسيفوس فلافيوس» [٣٧- ١٠٠م]- ضابطا فى الجيش المصرى، ولم يخرج مع من خرجوا إلى سيناء- والتى كانت وقتذاك إقليما مصريا- إلا ليواصل حياته المصرية بعيدا عن استبداد الفرعون، ولم ير موسى فلسطين، وتوفى قبل أن تظهر العبرية إلى الوجود بأكثر من قرن، فلغته كانت ولا شك اللغة المصرية القديمة»(١).

وإذا أردنا أن نشير -مجرد إشارة- إلى ما أصاب نصوص العهد القديم من تغييرات وتحريفات وزيادة ونقصان، فيكفى أن نقرأ سطورا فى كتاب [التوراة الهيروغليفية] تقول: «لقد درج بعض النساخ على التعليق على النص دون الإشارة، فضمت تعليقاتهم خطأ إلى المتن، وقد وقع مثل هذا عند ذكر المدينة المصرية [سين= أسوان] إذ علق الناسخ بعبارة «حصن مصرى» فضمت هذه العبارة إلى المتن -[حزقيل. إصحاح ٣٠: ١٥]- كما تعرضت عبارات

(١) د. فؤاد حسنين على [التوراة الهيروغليفية] ص٤، ٥. طبعة القاهرة. دار الكاتب العربى. بدون تاريخ.

وألفاظ كثيرة إلى التحريف، فخرجت عن معانيها الأصلية فاضطرب المعنى واختل الأسلوب -[إشعيا. إصحاح ٢٩ : ١٠]-، وذهب النساخ بعيدا فاستكملوا النصوص الناقصة، مثل قانون. الملك شموئيل الأول - [شموئيل الأول. إصحاح ٨ : ١٠- ٢١]-، كما استباح اليهودى المتعصب لكتابه لنفسه الحق فى تغيير ما جاء فى المتن لأنه لا يروقه -[أيوب. إصحاح ١ : ٥]-، فالعبارة المنسوبة إلى أيوب: «لأن أيوب قال ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم هى فى الواقع -كما يعتقد مارتن لوثر- أن أبنائى اقترفوا إثما وأنكروا الله، إلا أن الناسخ شق عليه إثبات هذا المعنى. ومما يؤيد رأى مارتن لوثر ما جاء فى العهد القديم -[مزمور ١٠ : ٣]- والآن نتساءل ما مدى أصالة لانص العبرى؟ هل هو النص الأصلى القديم الذى قد يعتمد عليه؟ يكفى الباحث أن يقرأ فيه هذه المواضع المكررة -[قابل بين مزمور ١٨ وشموئيل الثانى. إصحاح]- ليدرك قيمة هذا السؤال.

والذى نعلمه أن هذا النص تعرض كثيرا لأعمال

الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية أولاً، والغزو الأجنبى ثانيا.........

إن التوراة السامرية -وهى ترجع إلى القرن الرابع ق.م- تختلف عن النص الماسورى فى أكثر من ستة آلاف موضع، كما أن النسخة السامرية تتفق مع الترجمة السبعينية فى الثلث.. والترجمة السبعينية ليست فى مجموعها دقيقة، وبخاصة فى إشعيا والمزامير ودانيال، حيث نجد الترجمة حرة غير دقيقة، كما أن سفر أرميا ينقص عن النص العبرى نحو السبع، كما ينقص سفر أيوب نحو الربع. كما نلاحظ الاضطراب الكثير عند ترجمة بعض الألفاظ العبرية إلى اليونانية، كما أن هذه الترجمة لم تتم فى عصر بعينه، فالتوراة مثلا تمت ترجمتها فى القرن الثالث ق.م. أما سائر الأسفار الأخرى فقد ترجمت فى عصور متأخرة. لذلك فالآراء متضاربة حول الترجمة ا لسبعينية، ليس فقط حول ترتيبها وتنسيق أسفارها، بل حول اختلافها أحيانا عن النص العبرى وترتيب القديم العبرى، فضلا عن أن الترجمة السبعينية تضم أسفارا ليست شرعية، ولم ترد فى النص العبرى، لذلك استبدلت بترجمة أخرى، ألا وهى ترجمة

(ثيودوتيون Theodotion)[1].

إن هذه الشهادة العلمية، وثيقة، كتبها عالم خبير، استند فيها إلى تراث علمى هائل فى أسفار العهد القديم.. والمتأمل فيها يجد نفسه -دون مبالغات- أمام نصوص لا ترقى فى التوثيق والمصداقية إلى نصوص «ألف ليلة وليلة»!!.. ومن ثم يصبح غريبا وشاذا أن يتحدث أحد عن «التواتر» فى ثبوت هذه النصوص.. إنها مفتقرة إلى كثير من شروط «الصحة».. أما «التواتر» فلا علاقة لها به ولا علاقة له بها بأى حال من الأحوال!..

● وإذا كانت التناقضات -فى مثل هذه النصوص اليهودية- هى شاهد صدق على ما حدث فيها ولها من تحريفات.. فيكفى أن نقرأ سطورا من شهادة الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على -فى كتابه [التوراة: عرض وتحليل]- والتى يقول فيها: «إنه لا يوجد بالتوراة التى بين أيدينا خبر يُشتم منه أن موسى هو الذى جاء بها أو أنزلت عليه، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما

(١) المرجع السابق (١٧، ١٨، ٢٦، ٢٧).

يؤيد عكس هذا، ومن هذه الأدلة مثلا:

ـ ما جاء فى الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى، فبعيد البعد كله أن يكون هذا الخبر صادراً عنه، فقد ورد فى هذه الآية: «لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا».

ـ وفى الآية العاشرة من نفس الإصحاح جاء: «ولم يقم بعدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى، فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض».

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنا بعيدا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التى بأيدينا.

ـ ومن الأدلة الأخرى على ذلك، الاختلافات والتناقضات فى النص، كاستعمال [يهوه] و[ألرهيم]، وبعض الألفاظ الأخرى التى نعلم أن معانيها تختلف أحيانا حسب البيئة وحسب الزمن.. والتى لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد وفى عصر واحد..

ـ فقصة الخلق مثلا جاءت فى سفر التكوين -الإصحاح الأول: ٢٧- وفيها: كان الإنسان آخر الخلق. وعرض لنفس

القصة فى نفس السفر- الإصحاح الثانى: ٤- ٢٥- فكان الإنسان هو الأول، وبعده جاءت الأشجار، فحيوانات الحقول، وطيور السماء.. الأمر الذي يجعل التوراة -كما هى الآن- وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة.

ـ وقد استغلت فى سبيل وضعها مصادر عديدة، بعضها ذكر كما هو، وبعضها حُذف منه أو أضيف إليه.

ومن أدلة تعدد هذه المصادر: الاضطرابات الموجودة فى بعض القصص، مثلا قصة الطوفان: فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام (٤٠) يوما و(٤٠) ليلة، بينما نقرأ فى الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع فى نفس السفر أنه دام (١٥٠) يوما..

ـ ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية تفصل بينها وبين النسخة الأصلية التى كتبت عنها مدة تقرب من الألف عام، وفى هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شىء كثير من التغيير والتبديل..»[1].

---

(١) د. فؤاد حسين على [التوراة: عرض وتحليل] (١٦، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦). طبعة القاهرة ١٩٤٦م.

● بل لقد شهد العديد من علماء اليهود أنفسهم - الذين تخصصوا فى دراسات نصوص أسفار العهد القديم على هذه الحقائق، التى تباعد بين هذه النصوص وبين «الصحة»، فضلا عن هذا «التواتر» الذى زعمه «مؤلف» كتاب [المسيح فى الإسلام]..

ففى كتاب [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] -الذى كتب دراساته كوكبة من علماء اليهود، وحرره ونشره العالم اليهودى «زالمان شازار»- نقرأ: «إن هذه الأسفار المقدسة هى من طبقات مختلفة، و عصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن.. فلا ارتباط بينها، سواء فى أسلوب اللغة أم فى طريقة التأليف..

إن القسم الأكبر من توراتنا. لم يكتب فى الصحراء.. وموسى لم يكتب التوراة كلها.. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة.. ففيها ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى:

١- لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (فى سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم.

٢- ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق.

٣- ولفائف أعداد الأسباط.

٤- ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥- ومجموعات من روايات بيت داود.

٦- وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل.

٧- وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبى.

٨- وتكملات مختارة من عصر الحشمونين -[أى القرن الثامن قبل الميلاد].

إن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا -[أى حوالى ٧٣٤- ٦٨٠ ق.م]-.

أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة

لأساطير وأشعار قديمة..

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة، بين أنشودة موسى -الموجودة فى سفر الخروج- وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد- هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها وفى الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما. كما أن أقوال داود قليلة فى سفر آخر منسوب إليه»[1].

فهل بعد هذه الإشارات.. والشهادات على هذا الوضع المهلهل للنصوص الدينية اليهودية.. يجوز لعاقل أن ينكر ما حدث لها من تحريفات.. كل ألوان التحريفات؟!.. ثم يذهب ليفترى على القرآن الكريم -

---

(١) زلمان شازار- محرر- [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] (١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠ ترجمة أحمد محمد هويدى. تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن. طبعة القاهرة. المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٦م.

نبأ السماء العظيم.. المعجز والمتحدى.. وقطعى الثبوت.. والمنفرد بأعلى مستويات التوثيق -فضلا عن الحفظ الإلهى-.. وعلى علماء المسلمين فى هذا المقام؟!..

***

● أما ما حدث للنصوص الدينية النصرانية من انقطاعات.. وتحريفات.. وما حفلت به من تناقضات.. فيكفى الإشارة -مجرد الإشارة- إلى عدد من الحقائق والشهادات التى تلحقها -فى التهافت- بنظيرتها اليهودية..

١- إن عيسى -عليه السلام- قد جاء وبشر بالإنجيل.. لكن أين هذا الإنجيل الذى جاء به عيسى؟.. إنه لا وجود له -كما لا وجود لتوراة موسى- .. ولن تجد عند كافة كنائس النصرانية أية إجابة على هذا السؤال.. وكل ما لدى هذه الكنائس أناجيل عديدة، كتبها أناس آخرون غير عيسى، كما يكتب المؤرخون كتب التاريخ والسير لنبى من الأنبياء أو عظيم من العظماء.. فيختلفون

ويتفقون فى وقائع هذه السير والتواريخ.

٢- إن الأناجيل الأربعة المشهورة، والمعتمدة لدى الكنائس النصرانية الكبرى المعاصرة، اثنان منها كتبهما اثنان من الحواريين الإثنى عشر -أى من جيل صحابة المسيح وأتباعه- هما متى.. ويوحنا-.. والإنجيلان الآخران كتبهما اثنان من الجيل التالى- أى من تابعى صحابة المسيح؟.. فمرقس تلميذ لبطرس.. ولوقا تلميذ لبولس.. فليسا شاهدين على ما كتبا!..

٣- وهذه الأناجيل قد انتقلت نصوصها وتغيرت ألفاظها مرات عديدة بالترجمات إلى العديد من اللغات، الأمر الذى باعد بين ألفاظها - فى هذه الترجمات- وبين أصولها بعدا شديدا.. وإذا كانت الترجمة -مهما بلغت دقتها- إنما تمثل نوعا من «الخيانة» للنص الأصلى -وخاصة عندما يكون النص ذا طابع شعرى أو وعظى أو صوفى، تكثر فيه المجازات والكنايات والاستعارات والتشبيهات- كما هو حال هذه الأناجيل- فمن ذا الذى يجرؤ على الحديث عن انتفاء التحريفات

والتغيرات التى أصابت هذه الأناجيل؟!..

إن صاحب الكتاب الذى نتحدث عنه، يشير -فيعترف- فى ص١٢٤ [هامش (٤٦)]- إلى شىء من ذلك عندما يقول: إن إنجيل متى -الذى يتصدر أناجيل العهد الجديد- قد كتب أولاً بالآرامية لا بالعبرانية.. وهذا النص ترجمه مجهول إلى اليونانية، فضاع الأول وبقى الثانى لدينا»!

وإذا كانت الأناجيل قد مرت بمئات التغييرات -فى الألفاظ ومن ثم فى المعانى- عندما ترجمت مئات الترجمات إلى مئات اللغات، الأمر الذى يفتح الباب لدراسات مقارنة لهذه الاختلافات فى ألفاظها ومعانيها.. فإننا -مراعاة للمقام- سنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

أ- لقد ترجم إنجيل مرقس ترجمة مصرية جديدة -ترجمة عربية- ومن يقارن هذه الترجمة بنظيرتها العربية الموجودة ضمن مجموعة «الكتاب المقدس» سيجد العديد من الاختلافات فى كل صفحة من الصفحات!.. فأول سطر -آية- فى الطبعة العربية

التقليدية: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» نجدها فى الترجمة العربية الجديدة: «هذه بداية بشارة يسوع المسيح ابن الله».. فـ«بدء» أصبحت «هذه بداية».. و«إنجيل» صارت «بشارة»!.. وفى الآية الثانية نجد أن: «كما هو مكتوب فى الأنبياء» -فى الطبعة العربية التقليدية- قد صارت «وفقا لما هو مكتوب فى سفر إشعيا النبى»- فى الترجمة العربية الجديدة- !

وهكذا امتلأت كل صفحة من صفحات هاتين الطبعتين بالعديد من الاختلافات -فى الإنجيل الواحد وفى اللغة الواحدة- فما بالنا بما أصاب هذا الإنجيل وغيره من الاختلافات والتحريفات عبر مئات الترجمات إلى مئات اللغات.[1]

ب- لقد شهد عقد التسعينيات من القرن العشرين ترجمات جديدة لنصوص العهدين القديم والجديد إلى

---

(١) قارن إنجيل مرقس -طبعة دار الكتاب المقدس- ضمن مجموعة العهد القديم والعهد الجديد- بالطبعة العربية التى ترجمتها لجنة مكونة من: زكى شنوده، د. مراد كامل، د. باهور لبيب، حلمى مراد- برئاسة الأنبا غريغوريوس- طبعة دار المعارف- القاهرة ١٩٧٥م.

العديد من اللغات الحية، وقفت وراءها الحركات الأنثوية الغربية المتطرفة.. وتم فى هذه الترجمات الجديدة «تحييد» الأسماء الكثيرة المذكرة فى هذه النصوص، كى لا تكون الثقافة الدينية فيها «ثقافة ذكورية» -كما تقول هذه الحركات الأنثوية المتطرفة- أى أن التغييرات والتحريفات قد طالت حتى أسماء الله والأنبياء والقديسين!!..

وهذه الترجمات الجديدة، يتم الترويج لها والإشاعة لثقافتها بواسطة قوى العولمة وما بعد الحداثة، عبر قارات العالم المعاصر!..

إذن فنحن أمام نصوص لا تمتلك شيئا من شروط «النص»، التى تعارف عليها علماء النصوص!

٤- وإذا نحن نظرنا فى افتتاحية إنجيل لوقا -الإصحاح الأول: ١-٤- فسنقرأ قول لوقا -تلميذ بولس-: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا. كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى

إليك أيها العزيز ثاوفيلس. لتعرف صحة الكلام الذى علمت به».

فنحن أمام نص يقول لنا: إن كثيرين قد ألفوا أناجيل كثيرة، هى قصص عن ما سلمه الذين عاينوا.. ولوقا هذا قد كتب قصته -إنجيله- ليصحح الكلام الذى كتبه الكثيرون من كتاب الأناجيل الكثيرة!!.. وادعى أنه هو الذى تتبع كل شيء من الأول بتدقيق».. رغم أنه من «التابعين» وليس من صحابة المسيح!..

٥- وإذا كان كلام الله إنما يستحق هذا الوصف عندما يكون وحيا إلهيا مباشرا، لم يدخل فيه التأليف البشرى والإبداع الإنسانى.. فإن هذه الأناجيل، التى كتبها بشر، والتى حفلت بالعديد من الاختلافات والتناقضات، لا يمكن أن تكون وحيا إلهيا ولا أن تكون كلام الله.. وإلا لجاز لنا -فى الإسلام- أن نطلق وصف «الوحى» و«كلام الله» على آلاف الكتب التى ألفت فى سيرة رسولنا، عليه الصلاة والسلام!..

إن الكتاب الذى نحن بصدد نقده -[المسيح فى الإسلام]- يحاول الخروج من هذا المأزق، فيقع فى مأزق

أشد، هو الجمع بين النقيضين، عندما يصف هذه الأناجيل -ص١٢٤ [هامش (٤٧)]- بأنها «كلام الله.. وكلام الإنسان أيضاً»!.. وهو وصف خارج عن نطاق المعقول والمقبول!..

أما العالم النصرانى الإنجليزى «مونتجمرى وات» فلقد كان شجاعا وأمينا وموضوعيا عندما قارن بين الوحى القرآنى وبين ما سمى وحيا فى العهدين القديم والجديد، فقال: «إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من (رسول) اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين»..

إننى أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعانى، صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى.. إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه..

وربما كانت الملامح الأساسية للوحى يمكن اختصارها

فى العناصر الثلاثة الآتية:

١- أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى.

٢- وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك.

٣- وأن يقينا جازما كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هى من الله.

ولقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضرا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكل النص القرآنى الذى بين أيدينا. وكان محمد واعيا تماما بأنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية..

أما مفهوم الوحى فى اليهودية والمسيحية، فإن الكثير من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله قد جلبها مصدر خارجى ممثل فى ملك أو ملائكة يملونها على

كتاب الأناجيل، وإنما يُلقى فى روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا. والأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب»..

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية المسيحية - وبصورتهما الموجودة على أيامه- قول صحيح[1]..

٦- وفى دائرة المعارف البريطانية -التى هى أشهر وأوثق الموسوعات العالمية.. والصادرة فى بلد نصرانى محافظ، ينفرد برئاسة عرشه للكنيسة القومية -فى هذه الموسوعة نجد الدراسات العلمية التى تشكك حتى فى نسبة الأناجيل الأربعة إلى من نسبت إليهم.. فتقول هذه الموسوعة عن:

أ - إنجيل متى: «إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد» -(٦ / ٦٩٧)- ومن المسلم به أن متى قد اعتمد فى كتابة إنجيله على إنجيل مرقس أول الأناجيل

---

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص٣٦، ١٧٠، ترجمة: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ. طبعة القاهرة -مكتبة الأسرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تأليفا، حيث حوى ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرقس البالغة ٦٢١ عددا، أى ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن: كيف يعتمد متى، وهو حوارى المسيح الذى لازمه منذ بداية دعوته، على إنجيل كتبه مرقس وهو تلميذ الحوارى بطرس، أى من الصف الثانى من أتباع المسيح؟!..

ب- إنجيل مرقس: تقول عنه الموسوعة البريطانية: «فى أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموما إضافات متأخرة.. والأعداد الأخيرة -١٦: ٩ - ٢٠ غير موجودة فى بعض المخطوطات، ويوجد عوضا عنها مقاطع أقصر فى مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء» -[المجلد الثانى. ص٩٥١، ٩٥٣].

جـ- إنجيل لوقا: تقول عنه الموسوعة البريطانية: «إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً» -[المجلد الثانى. ص٩٥٤].

د - إنجيل يوحنا: وهو الإنجيل الوحيد الذى نص بكل صراحة على ألوهية عيسى، حيث نقل عن عيسى أنه قال: «أنا والأب واحد» -يوحنا ١٠: ٣٠-، «الذى رآنى

فقد رأى الأب»- يوحنا ١٤ : ٩-، «أنا فى الأب والأب فىّ» -يوحنا ١٤ : ١٠-.

ويتعارض هذا الإنجيل مع الأناجيل الأخرى فى أمور هامة جدا وحاسمة، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان -[ابريل]- بينما يفهم من بقية الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان. ولا يذكر يوحنا فى إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس أو العشاء الأخير، التى أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية. ولا يذكر أن المسيح تعمّد بواسطة يوحنا المعمدان. وفى حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استغرقت عاما واحدا.

ويوحنا هو الوحيد الذى ذكر أن عيسى أخبر تلاميذه قبل صلبه أنه سيرسل «الفارقليط».. وهذه الاختلافات الهامة -وغيرها كثير- جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول الأسقف «بابياس» -المتوفى ١٣٠م- عن وجود أكثر من يوحنا -يوحنا بن زبدى الحوارى.. ويوحنا آخر هو الكاهن فى أفسس.. وفى داخل الإنجيل يفهم أنه كتب

بواسطة حوارى محبوب مجهول الاسم. وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هى: أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت فى مكان ما فى الشرق، ربما فى أفسس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا فى نهاية القرن الأول الميلادى» [المجلد الثانى. ص٩٥٥][(١)].

٧- كما أن تاريخ كتابة هذه الأناجيل متأخر عن عصر المسيح -عليه السلام- وتاريخ رفعه..

ولذلك، فهى تتحدث عن أحداث سابقة على تاريخ كتابتها.. ومن ثم فهى فاقدة لشروط الشهادة على هذه الأحداث.. فأقدم هذه الأناجيل- كما تذكر ذلك [الموسوعة البريطانية المجلد الثانى ص٩٥٣- ٩٥٥]- وهو إنجيل مرقس -كتب ما بين سنة ٦٥م وسنة ٧٠م- أى بعد ثلاثين عاما من رفع المسيح -عليه السلام-.. وإنجيل متى كتب ما بين سنة ٧٠م وسنة ٨٠م.. وإنجيل لوقا كتب سنة ٨٠م.. أما إنجيل يوحنا فكتب فى نهاية

(١) انظر فى ذلك: محمد السعدى [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] ص١٥- ٢٢.

القرن الميلادى الأول أى سنة ١٠٠م[1]..

هذا إذا سلمنا بأن كتابها هم الذين نسبت إليهم كتابتها!.. مع الأخذ فى الاعتبار أن مرقس ولوقا لم يشهدا أحداث القصة التى كتباها.. وإنما كتبا ما سمعاه شفهيا من قصص تلك الأحداث، نقلا عن الجيل السابق عليهما!..

وكما يقول الأسقف «بابياس» -المتوفى سنة ١٣٠م- أى المعاصر لكتبة هذه الأناجيل-: «إن مرقس الذى كان ترجمانا لبطرس، قد كتب القدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله، ولكن دون مراعاة للنظام، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع، ولا كان تابعا شخصيا له، لكنه فى مرحلة متأخرة.. قد تبع بطرس»[2].

وفى هذا النص الخطير للأسقف «بابياس» تصريح بأن

(١) المرجع السابق [ص٢٣، ٢٤].
(٢) د. أحمد عبدالوهاب [المسيح فى مصادر العقائد المسيحية] ص٥١. طبعة مكتبة وهبة -القاهرة سنة ١٩٧٨- والنقل عن [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] ص٢٤، ٢٥.

مرقس قد كتب «ما سمحت به ذاكرته»، «ودون مراعاة للنظام».. الأمر الذى ينفى نفيا قاطعا عن هذه النصوص النصرانية صفة الوحى الإلهى.. فالكاتب قد كتب ما سمحت به ذاكرته البشرية.. والافتقار إلى النظام فيما كتب شاهد على أننا أمام «ذكريات بشرية».. أو فى أحسن الأحوال مجرد «مذكرات»!..

ولذلك كان غريباً أن يصف «مؤلف» كتاب [المسيح فى الإسلام] هذه النصوص بوصف «التواتر».. فضلا عن أن توصف بأنها وحى الله؟!..

٨- ثم.. كيف ينتفى التحريف اللفظى عن هذه النصوص، وهناك مغايرة بين اللغة التى كان يعظ بها المسيح -أى لغة الإنجيل الذى جاء به.. وهى اللغة الآرامية- وبين اللغة الإغريقية التى كتبت بها النسخ الأصلية لهذه الأناجيل؟!.. الأمر الذى جعل الأب «كانينجسر» R.P.KANENENGESSER - الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس- يقول: «لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل، حفظوا منها نصيبا، وأنهم حرفوا النصيب الذى أوتوه. وأنه أعطى عيسى الإنجيل، وقال فى أتباعه

مثل ما قال فى اليهود: فهى كتابات ظرفية خصامية، حرر مؤلفوها تراث جماعتهم المسيحية».

كما كتب مؤلفو كتاب [الترجمة المسكونية للعهد الجديد] -وهم أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت- فقالوا: «لقد جمع المبشرون وحرروا، كل حسب وجهة نظره الخاصة، ما أعطاهم إياه التراث الشفهى»[1].

● ثم.. أين هو «التواتر» فى الشهادة على وقائع محاكمات المسيح وقتله وصلبه، إذا كان (متى) يذكر فى إنجيله أن جميع تلاميذ المسيح قد هربوا عند القبض عليه؟!.. «حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا» -متى ٢٦: ٥٦-..

فعن من تم النقل والشهادة، فضلا عن التواتر المزعوم؟!..

ولذلك، صدق الدكتور موريس بوكاى عندما قال: «إننا لانملك أى شهادة لشاهد عيان لحياة المسيح، وهذا

---

(١) د. موريس بوكاى [دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة] ص٧٨ طبعة دار المعارف- القاهرة سنة ١٩٧٧. والنقل عن [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] ص٢٩.

خلافاً لما يتصوره كثير من المسيحيين»[1].

٩- ثم.. أين هذا التواتر المزعوم، وقد فقدت الأصول الأولى لكل الأناجيل المشهورة والمعتمدة وأقدم المخطوطات لهذه الأناجيل الحالية يفصل بينها وبين المسيح وعصر من نسبت إليهم ما يقرب من ثلثمائة عام!.. وبشهادة الموسوعة البريطانية- المجلد الثانى ص٩٤١- «فإن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التى كتبت بأيدى مؤلفيها الأصليين قد اختفت. وأن هناك فاصلاً زمنياً لايقل عن مائتين أو ثلثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حالياً»[2].

١٠- وغير فقد المخطوطات الأصلية واختفائها- مخطوطات الأناجيل- ووجود فجوة زمنية تبلغ مئات السنين بين أصولها الأولى وبين المخطوطات التى أخذت عنها هذه الأناجيل الحالية.. فإن هناك أكثر من مائة

---

(١) المرجع السابق. ص١١- والنقل عن «حول موثوقية الأناجيل والتوراة»ص٣٣.
(٢) «حول موثوقية الأناجيل والتوراة» ص٣٥.

وخمسين ألفاً (١٥٠,٠٠٠) من مواضع الاختلاف بين المخطوطات التى طبعت منها الأناجيل المتداولة الآن!!.. وهذه الاختلافات ليست بين مخطوطات الأناجيل المختلفة فقط، بل وفى مخطوطات الإنجيل الواحد! وبنص عبارة الموسوعة البريطانية- المجلد الثانى ص٩٤١- : «فإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات فى النصوص.. وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتى تغطيه تقريباً، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفاً من الاختلافات بين النصوص..»[١].

فهل- بعد هذه الإشارات- التى هى قطرة من محيط- يجوز لعاقل أن يتحدث عن «التواتر» فى نصوص العهد القديم والعهد الجديد؟

ثم يذهب فيفترى على علماء الإسلام أنهم قد احترموا هذا «التواتر» المزعوم؟!.. فضلاً عن أن يعارض موقف القرآن الكريم- وهو الوحى الإلهى المباشر..

---

(١) المرجع السابق. ص٣٧.

قطعى الثبوت- من تحريف اليهود للكتاب، الذى كتبوه بأيديهم، ثم كذبوا فقالوا إنه من عند الله؟!

لقد كتب الإمام محمد عبده (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ ١٨٤٩- ١٩٠٥م)- بعد الرازى بقرون- فقال: «إن قصص مايسمى «الكتاب المقدس» ليست من وحى الله.. وهى كتب ليس لها أسانيد متواترة، ولقد أثبت القرآن أن الله تعالى أعطى موسى التوراة. وأن أتباعه حفظوا منها نصيباً، وأنهم حرفوا النصيب الذى أُتوه. وأنه أعطى عيسى الإنجيل، وقال القرآن فى أتباعه مثل ماقال فى اليهود:

﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾

(المائدة: ١٤) [١]

***

● ويبدوا أن الافتراء على الإسلام وعلمائه قد أصبح متعدياً للمذاهب والأقطار والقارات!.. فبعد هذا الذى

---

(١) محمد عبده «الأعمال الكاملة» (٤/٧٠٥، ٧٠٦) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

رأيناه من افتراء الدكتور ميشال الحايك- الماروني الكاثوليكي اللبناني- على الإمام فخر الدين الرازي- في قضية تحريف اليهود للتوراة- .. إذا بالقمص الأرثوذكسي المصري مرقص عزيز خليل يقترف ذات الخطيئة- حول ذات القضية- فيفتري - في كتابه: «استحالة تحريف الكتاب المقدس»- على جملة من علماء الإسلام، فنراه يورد نصوص الفخر الرازي.. والبيضاوي (٦٨٥هـ ١٢٨٦م) والجلالين- السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ ١٤٤٥- ١٥٠٥م) والمحلي (٧٩١- ٨٦٤هـ ١٣٨٩- ١٤٥٩م)- في تفسير الآيات القرآنية التي تحدثت عن تحريف اليهود للتوراة.. وهي نصوص صريحة في أن هذا التحريف قد وقع بكل طرق التحريف:

- ا لتحريف للألفاظ، بتغييرها.. وتبديلها.. وإخفائها.

- والتحريف المعنوي، بالتأويلات الفاسدة التي تخرج معاني الألفاظ عن مرادها الحقيقي..

يورد القمص مرقس عزيز خليل نصوص علماء التفسير هؤلاء، ومنها قول الجلالين: «يحرفون الكلم-

عن مواضعه: أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، إما لفظاً بإهماله بأن يتغير وضعه، وإما معنى بحمله على غير المراد، وإجرائه في غير مورده».

وهو كلام صريح ومباشر في أن التحريف قد وقع من اليهود للتوراة باللفظ.. كما وقع بالمعنى والتأويلات الفاسدة.

ومع ذلك، لايحترم هذا القمص صراحة النصوص التي نقلها هو.. ووثقها.. وأيضاً لايحترم عقول قرائه!.. فيعلق على هذا النصوص بالافتراء على علماء الإسلام- وأيضاً بالاحتقار لعقول القراء- فيقول:

«ومن هنا يتضح أن المعنى المقصود بكلمة التحريف هو التأويل والتفسير الغير سليم، ولكن نص الكتاب المقدس لم يحدث فيه تغير.. فالنص الأصلي بقي بدون تحريف»!! [١].

وهكذا يسير القساوسة المعاصرون- بهذا التحريف والافتراء- على طريق الأحبار القدماء!..

(١) «استحالة تحريف الكتاب المقدس» ص٨٤- ٨٧- الطبعة التاسعة- الكنيسة المعلقة- مصر القديمة- القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

بل ربما كان هذا الذى اقترفه القمص مرقس عزيز خليل أكبر وأغرب.. فالمحرفون القدماء كانوا يبدلون الألفاظ، ويخفون الأصلى منها.. ويموهون على أتباعهم بهذا الإخفاء.. والتأويل الفاسد.. أما صاحب كتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» فإنه يورد النصوص التى تقول إن التحريف قد وقع «باللفظ» و«بالمعنى».. ثم يعلق عليه بما يفيد أن معناه: انتفاء التحريف فى الألفاظ!!

وهو بذلك- كما أسلفنا- يتفوق على المحرفين القدماء!.

ـ ٤ ـ

دلالات كثرة المعجزات

لقد حاول مؤلف هذا الكتاب- «المسيح فى الإسلام»- أن يتوسل بكثرة معجزات المسيح- عليه السلام- إلى رفعه عن مرتبة الأنبياء والمرسلين، وذلك ليفتح باباً لعقائد النصارى فى ألوهية المسيح.. فقال: ص٩٦: «ولكن القرآن الكريم والحديث وسائر فروع العلم الإسلامى لم تذكر نبياً ولا رسولاً أتى بمعجزات كالتى جاء بها المسيح عداً ووصفاً. ومن هذه المعجزات ماذكر القرآن، ككلام عيسى فى المهد، وإبراء الأبرص والأكمه وإحياء الموتى.. وعيسى هو كلمة الله دون سواه».

● ونحن نقول: إن المعجزة هى: علامة وآية خارقة للعادة، يظهرها الله- سبحانه وتعالى- على يد مدعى الرسالة، لتقوم دليلاً معجزاً على صدق دعوته.. يتحدى بها الرسول الذين لايصدقون دعوته ورسالته.

وواحدة من هذه المعجزات تكفى فى البرهنة على صدق الرسول..

أما كثرة المعجزات، فلها علاقة بمستوى التكذيب لدى القوم، ومستوى الغلظة التى هم عليها.. ولا علاقة لكثرة المعجزات بمستوى التكريم للرسول، ولا بمنزلته.. وإلا

فمعجزات موسى- عليه السلام- أكثر- في العدد والإدهاش- من معجزات أبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام.

ومن معجزات موسى- التي استدعتها غلظة قلوب بني إسرائيل.. وعتو فرعون:

١- إنقاذه من الذبح، وهو وليد..

٢- وإنقاذه من الغرق في اليم..

٣- وإيحاء الله إلى أمه..

٤- وإرجاعه إلى أمه لترضعه..

٥- ونجاته من فرعون..

٦- وتجلي الله له..

٧- وتكليم الله إياه..

٨- والعصا التي التقفت ما صنعه الساحرون..

٩- وفلق البحر له ولبني إسرائيل كالطود العظيم..

١٠- ونتوء الجبل..

١١- وإنزال المن والسلوى له ولمن معه.. إلخ.. إلخ..

● ومثل كثرة المعجزات على يد رسول من الرسل،

كثرة الرسل في قوم من الأقوام.. ليست علامة تكريم للقوم ورفعاً لشأنهم، بقدر ما هي دليل على غلظة قلوبهم، وكثرة خروجهم على هدى الشريعة الإلهية- كما هو الحال في بني إسرائيل.

● أما كون عيسى هو «كلمة الله دون سواه».. فليس بصحيح.. فكلمة الله هي خلق الله ب«كن»:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾

(الكهف: ١٠٩)

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(لقمان: ٢٧)

● وإذا كان عيسى- عليه السلام- قد سلم على نفسه:

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم: ٣٣

فإن الله- سبحانه وتعالى- هو الذى سلم على يحيى:

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾

(مريم: ١٢- ١٥)

ولقد سلمت الملائكة على إبراهيم- عليه السلام:

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾

(هود: ٦٩)

والله- سبحانه وتعالى- يسلم على أهل الجنة:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾

(الرعد: ٢٤)

وهكذا.. فليس فى معجزات عيسى- عليه السلام- مايرفعه عن مرتبة العبد لله.. والنبى والرسول.. الذى تبوأ مكانه بين أولى العزم من

الرسل- عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وحتى نبرهن على هذه الحقيقة المنطقية من النصوص التى يؤمن بها النصارى- نصوص العهد القديم- نقول لهم:

● إن معجزة شفاء عيسى- عليه السلام- للأبرص.. أعجب منها معجزة موسى- عليه السلام- الذى أخرج يده من جيبه سليمة صحيحة، ثم أدخلها فى عبه، فلما أخرجها إذا هى برصاء بيضاء كالثلج.. فلما ردها إلى عبه مرة أخرى، ثم أخرجها، إذا هى صحيحة سالمة.

● ومثلها- كذلك- معجزة «إليشع»- «اليسع»، الذى جاءه «نعمان»، رئيس جيش ملك «آرام» ليشفيه من البرص.. فطلب منه «اليشع» الاغتسال فى نهر الأردن سبع مرات متتالية.. فبرئ من البرص فور فعله لذلك.

● ومعجزة تشكيل عيسى من الطين كهيئة الطير.. ثم النفخ فيها لتصبح حية بإذن الله.. أعجب منها تحول عصا موسى- وهى كما هى دون تشكيل- إلى حية تسعى، وتلقف ماصنع الساحرون!

● ومعجزة عيسى إحياء الموتى بإذن الله، لها نظائر مثلها وأكثر منها وأسبق فى معجزات أنبياء بنى إسرائيل:

فالنبى «إيليا»- (إلياس)- تخبره امرأة بقرية «صرفة» بموت ولدها.. فيرده «إيليا» حياً معافى.. ويقول للمرأة: انظرى، ابنك حى»!

● وأعجب من هذه المعجزة، معجزة «اليشع»- (اليسع)- الذى بشر المرأة الشونمية بمولود تلده ويكون فى حضنها فى مثل هذا الوقت من العام القادم، ولما تحققت هذه المعجزة، وكبر الولد.. مرض.. ومات.. فسافرت المرأة الى «اليشع»، وأخبرته بموت ولدها.. فجاء الى قريتها، وأحيا الولد.

● ومثل هذه المعجزات- إحياء الميت- قصة ذلك الميت الذى كان يحمله أهله- فى النعش- ليدفنوه.. فلما أبصروا الغزاة قادمين، ذعروا.. وألقوا الميت، فسقط على قبر النبى «اليشع».. وبنص العهد القديم.. الذى يؤمن به النصارى-.. «فلما مس جسد الميت عظام اليشع، عاش، وقام على رجليه»!!- (سفر الملوك الثانى). إصحاح ١٣ : ٢١.. أى أن «اليشع» قد أحيا الموتى وهو ميت!!.. فكان فى المعجزات أبلغ وأكثر إدهاشا من المسيح!..

● ومعجزة عيسى تكثير الطعام القليل.. أسبق منها وأعجب ماصنعه النبى «اليشع»، عندما جاءته امرأة من بنى

الأنبياء- كان زوجها تقيا- فسألته ماذا تفعل- وهى فقيرة لاتملك سوى قطرات قليلة من الزيت- مع المرابى الذى يطالبها بسداد الدين الذى عليها؟ فطلب منها «اليشع» أن تذهب فتستعير من جميع الجيران كل مالديهم من الأوعية الفارغة.. وقال لها: «ثم ادخلى، واغلقى الباب على نفسك وعلى بنيك، وصبى فى جميع هذه الأوعية، وما امتلأ انقليه..».. فامتلأت جميع الأوعية زيتا.. ثم قال لها «اليشع»: «اذهبى بيعى الزيت، وأوفى دينك، وعيشى أنت وبنوك بما بقى»! (سفر الملوك الثانى). إصحاح ٤ :٧.

● ومثل هذه المعجزة- كذلك- ماصنعه «اليشع» بالأرغفة العشرين، عندما أمر خادمه أن يقدمها طعاماً للشعب ليأكلوا منها.. فلما قال له الخادم:

- ماذا؟! هل أجعل هذا أمام مائة رجل؟!..

- قال للخادم: إعط الشعب ليألكوا.. لأنه هكذا قال الرب: يأكلون، ويفضل عنهم. فأكلوا وفضل عنهم، حسب قول الرب»- (سفر الملوك الثانى) (إصحاح ٤ : ٤٢، ٤٣).

(وأعجب من ذلك- فى الإعجاز والإدهاش- ما صنعه النبى «اليا» (الياس)- مع المرأة- فى قرية «صرفة»

عندما طلب منها طعاماً وشراباً- إبان القحط والجفاف- فلما أخبرته بأن كل مافى بيتها لايتعدى ملء كف من دقيق.. بشرها بأن ماعندها لن ينفد أبداً، وسيكفيها وأسرتها ثلاثة أعوام، حتى يجئ المطر!!- فتحققت المعجزة- (سفر الملوك الأول) إصحاح ١٧ : ٤- ٦.

● ومثل ذلك- وأعجب معجزة «إليا»- (الياس) الذى كانت تأتيه الغربان بقوته، وتطعمه فى اليوم مرتين، فتأتيه بخبز ولحم صباحاً، وتأتيه بمثلها مساء ويشرب من ماء النهر!! (سفر الملوك الأول)، إصحاح١٧ : ٤-٦-.

وعندما هرب «إليان» من ملك الوثنيين، مخافة أن يقتلوه.. ونام فى مكان مهجور، فى انتظار الموت، من شدة الجوع والعطش، «إذا بملاك مسه، وقال: قم وكل، لأن المسافة كثيرة عليك، فقام، وأكل وشرب، وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة، إلى جبل الله، جوريب، ودخل هناك المغارة، وبات فيها» (سفر الملوك الأول). إصحاح ١٩ :٥-٩-[1].

---

(١) انظر ذلك: حسنى يوسف الأطير «تقويم الاعتقاد بين القرآن والنصارى الموحدين» ص٢٦٧- ٢٧٢، طبعة مكتبة النافذة القاهرة سنة ٢٠٠٥م.

ففى هذه المعجزات- وأمثالها- لأنبياء كثيرين من الذين بعثوا فى بنى إسرائيل- والتى ورد ذكرها فى العهد القديم- الذى يؤمن به النصارى- مايفوق معجزات عيسى- عليه السلام- فى العدد.. والإدهاش- .. الأمر الذى ينفى دعوى النصارى تفرد عيسى وتميزه بما ظهر على يديه من معجزات.

ومن ثم يشهد على أن كثرة المعجزات.. وشدة إدهاشها، إنما استدعتها غلظة قلوب القوم الذين بعث فيهم هؤلاء الأنبياء.. وليس لتمييز النبى على غيره بسبب كثرة المعجزات.. وذلك فضلاً عن فساد الاعتقاد الذى يتخذ ذلك سبيلاً لتأليه أى نبى من هؤلاء الأنبياء!

***

هكذا سقطت دعاوى النصارى التى زعموا فيها:

١- تغير موقف القرآن من عقائدهم فى ألوهية المسيح.. وبنوته لله.. وقتله وصلبه- فى المرحلة المدنية عنه فى المرحلة المكية.. بسبب مازعموا من وقوع أحداث تاريخية غيرت هذا الموقف!.

٢- وسقطت دعاواهم التى افتروا فيها على علماء الإسلام

أنهم أقروا القتل والصلب للمسيح- عليه السلام- ..

٣- وسقط الزعم الذى زعموه بأن بعض علماء الإسلام قد قالوا «بتواتر» التوراة.. ومن ثم استعصائها- منطقياً- على التحريف.. وثبت كذب هذه الدعوى، بالاحتكام إلى النصوص الصحيحة لهؤلاء العلماء- والتى زيفها النصارى- فنطقت هذه النصوص بما أكده القرآن الكريم من وقوع التحريف لهذه النصوص الدينية- المؤسسة لليهودية والنصرانية الحالية- تحريفاً أصاب الألفاظ- بالتغيير والتبديل- وأصاب المعانى بفاسد التأويلات.

٤- كما سقطت دعوى النصارى تميز عيسى- عليه السلام- ومن ثم امتيازه- بنوعية المعجزات وكثرتها.. سقطت هذه الدعوى بالمنطق.. وبالنصوص التى بها يؤمنون، ولها يقدسون.. وصدق الله العظيم:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤]

التوصيـــة

وأخيراً.. فإن من الخطأ- بإزاء كتاب بهذا الحجم.. وهذا الخطر- قد صدرت طبعته الأولى منذ مايقرب من نصف قرن- التوصية بعدم تداوله.. فالتداول قد تم بالفعل- عبر ثلاث طبعات- ولايزال مستمراً.

والأصوب والأليق هو الرد عليه، وتفنيد ماجاء به من أخطاء طالت القرآن الكريم، وعقائد الإسلام الثوابت.. وعلماء الإسلام.

لذلك، آثرت أن أبذل فى الرد على هذه الأخطاء الجهد المناسب لخطرها.

وأقترح على المجمع الموقر نشر هذا الرد ملحقاً لمجلة الأزهر.. تعميماً للفائدة.. وتصويباً لما فى هذا الكتاب من أخطاء.. وليعلم الكافة أن المجمع لايصادر الفكر مهما كان جموحه.. وإنما يجتهد لمقارعة الحجة بالحجة.. تصحيحاً للأخطاء.. وإثراء للأفكار.. وتحذيراً للمفترين!

والله ولى التوفيق

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس – طبعة دار الكتاب المقدس.
- إنجيل مرقس – طبعة دار المعارف – القاهرة سنة ١٩٧٥م
- أبو يوسف : «كتاب الخراج» طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ
- د. أحمد عبدالوهاب : «المسيح فى مصادر العقائد المسيحية» طبعة وهبة – القاهرة ١٩٧٨م
- د. إسرائيل ولفنسون : «تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام طبعة القاهرة ١٩٢٧م.
- التميمى الدرى : «السيف الصقيل» تقديم وتعليق : نادى فرج العطار طبعة القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- البلاذرى : «فتوح البلدان» تحقيق : د. صلاح الدين المنجد. طبعة القاهرة ١٩٥٦م.
- حسنى يوسف الأطير : «تقويم الاعتقاد بين القرآن

والنصارى الموحدين» طبعة مكتبة النافذة القاهرة ٢٠٠٥م.

- الرازى – فخر الدين : «مفاتيح الغيب» طبعة دار الفكر العربى – القاهرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- رفاعة الطهطاوى : «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى» دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٧٧م.
- زالمان شازار – محرر – : «تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث» ترجمة : أحمد محمد هويدى. مراجعة وتقديم : د. محمد خليفة حسن. طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٠م.
- سمير سامى شحاته : «الاختلافات فى الكتاب المقدس» طبعة مكتبة وهبة – القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- السيوطى – جلال الدين – : «أسباب النزول» طبعة دار الشعب ١٩٤٦م.
- د. توفيق حسنين على : «التوراة : عرض وتحليل»

طبعة القاهرة ١٩٤٦م.

:«التوراة الهيروغليفية» طبعة دار الكاتب العربى- القاهرة- بدون تاريخ.

- القرطبى : «الجامع لأحكام القرآن» طبعة دار الكتب المصرية.
- مؤتمر كولورادو- وثائق- «التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى» طبعة مركز دراسات المستقبل الإسلامى- مالطا ١٩٩١م.
- محمد السعدى : «حول موثوقية الأناجيل والتوراة»- طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- طرابلس- ليبيا ١٩٨٦م.
- محمد عبده : «الأعمال الكاملة» دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت ١٩٧٢م.
- مرقس خليل عزيز- القمص- : «استحالة تحريف الكتاب المقدس» طبعة الكنيسة المعلقة- مصر القديمة- القاهرة ٢٠٠٣م.
- د. موريس بوكاى : «دراسة الكتب المقدسة فى ضوء

المعارف الحديثة» طبعة دار المعارف- القاهرة ١٩٧٧م.

- د. مونتجمرى وات : «الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر» ترجمة: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة- القاهرة.
- د. ميشال الحايك : «المسيح فى الإسلام» طبعة دار النهار- بيروت ٢٠٠٤م.

الفهـــرس